




مواجهات بشير والأسد وعرفات وشارون

معارك سوريا... وإسرائيل في لبنان

(الجزء الثالث)

كلوفيس الشويفاتي










مواجهات بشير والأسد وعرفات وشارون معارك سوريا... وإسرائيل في لبنان

(الجزء الثالث)

كلوفيس الشويفاتي

هاتف: ٠٣/٤٨٣٣٤١ - ٠٩/٤٧٨١٦١
بريد الكتروني: clovischoueifaty@hotmail.com

سوفتغراف - جبيل - ٠٩/٥٤٨٠٠١

■ في عيد الكتائب، ٢٢ تشرين الثاني ١٩٨١ قال بشير: «نريد رئيساً وقف لمرَّة فوق قبر شهيد... نريد رئيساً يصرّف أفعال الجزم...» علّق كثيرون يومها بالقول: «إنها صفات لا تنطبق إلاَّ عليه».

■ «اللبنانيون أناس يقبّلون الأيادي ويقتلون في نفس الوقت... لقد كبَّلت أياديهم باقتراحي عليهم الإستيلاء على السلطة...»

(أرييل شارون)

■ «بلغتني صور مجيدة عنها لدى مقاتليكم». وقال: «لا تتّكلوا إلاّ على أنفسكم، فالضمير العالمي قلّما يستفيق، وهو إن استفاق فمتأخر جداً»

(مناحيم بيغن لوفد من القوات اللبنانية زاره في تل أبيب)

■ «كان عدد الفلسطينيين في قلعة الشقيف ٣٣ مقاتلاً، لم نأسر أي منهم، قاتلوا حتى الموت... لقد دُهشت من ضراوة مقاومتهم... لو كانوا إسرائيليين لمنحوا أوسمة البطولة التي تُمنح للطيارين...»

(الضابط الإسرائيلي دوف الذي قاد الهجوم على قلعة الشقيف)

■ «إستمر الفدائيون بالنظر إلينا شاهرين أسلحتهم، وحينما حاول الجنرال آدام تحسّس مسدّسه أطلقوا النار علينا بكثافة وسقطنا جميعًا نسبح بدمائنا ثم غادروا المكان... بعد ذلك أفقت في المستشفى وقيل لي بأن الجنرال يكوتئيل آدام قُتل هو والعقيد الركن حاييم سيلع والمقدّم إيلاني...»

(الجنرال الإسرائيلي أفرايم أبيدان)

■ «عليكم التشبّث بالأرض مهما كان الثمن، لأن سوريا كلّها في خطر... إذا إمتلكت طائرات العدو السماء فالأرض لنا. تمسّكوا بها، لا مجال للتراجع... وإن ينصركم اللّه فلا غالب لكم...»

(الرئيس حافظ الأسد لجنوده بعد وصول الخطر الإسرائيلي الى دمشق)

■ «إنّه عسكريٌّ يُصاب ويتوجّع. أما رجال السياسة فيقطفون أزهار النصر المرويّة بدم الجند المهراق عند أقدام أطماعهم وأحلامهم».

(قائد لواء غولاني بعد سقوط قلعة الشقيف)

مقدّمة

شكَّل العام ١٩٨٢ أكثر الأعوام صخبًا وأحداثًا ومحطات دراماتيكية ومفصليَّة في تاريخ لبنان، فلم يسبق لبلد بهذا الحجم الجغرافي والسكّاني الصغير أن تحوَّل منطقة صراع وتداخل عربي ودولي وأُممي الى هذا الحدّ. فإضافةً الى القضية اللبنانية التي هي بحدّ ذاتها في منتهى التعقيد والصعوبة، حلّت القضية الفلسطينية بكل ثقلها ومشاكلها ومآسيها على أرضنا ناقلة معها كل الصراع العربي الإسرائيلي، ما دفع إسرائيل الى الإنغماس بكلّ قواها وجبروتها في وُحول لبنان ومشاكله، كما أن الدول العربية الأخرى وجدت نفسها عن قصد أو عن غير قصد في المستنقع اللبناني. فمصر التي كانت أبرمت إتفاقية سلام مع إسرائيل في كامب دايفيد ونبذها العرب، كانت مهتمَّة وطامحة في أن يحزو حزوها بلد عربي آخر لكي لا تبقى مستفرَدة، وسوريا التي وضعت كلّ قواها في لبنان منذ العام ١٩٧٦ متحجّجة بتاريخ وجغرافيا مشتركة، كان لبنان بالنسبة لها الحلقة الأضعف والساحة الفضلى للعب دور إقليمي يجعلها وريثة شرعية وفعلية للشقيقة الأم مصر. وفي هذا الإطار، إعتبر الرئيس حافظ الاسد نفسه أفضل من يكون في الموقع الذي شغله الرئيس جمال عبد الناصر قبل موته خصوصًا بعد إتجاه مصر الى كامب دايفيد... كما أنّ العاملَين الإيراني والعراقي كانا حاضرَين بقوّة، فالحرب المستعرة بين الجارَين اللدودَين والخلاف بين البعثَين العراقي والسوري جعل دمشق تدعم طهران في حربها ضد بغداد، فيما وقفت دول الخليج الى جانب صدام حسين من منطلق المذهب والعروبة والتاريخ والجغرافيا.

هذا الخليط العجيب من الأزمات والمعضلات أجبر الدول العظمى على تسليط الضوء والإهتمام بهذه البقعة الصغيرة التي حَوَت كل تناقضات ومشاكل الشرق والعالم. فالإتحاد السوفياتي كان مُجبرًا على وضع إصبعه في الأرض اللبنانية لأن حليفته سوريا منغمسة حتى العظم، ودَعْمها أساسي ورئيسي في الحرب الباردة أو حروب الواسطة بينه وبين الولايات المتحدة الأميركية، التي اعتبرت نفسها أيضًا معنيَّة بالصراع الكبير (صراع الجبّارَين) وبقضية المنطقة التي تخوضها حليفتها الأولى في الشرق لا بل في العالم، إسرائيل.

من جهته، الجيش السوري لم يقاتل بضراوة ويدخل بقوَّة في المعركة، إلاَّ حين ضربت إسرائيل دفاعاته الجويّة وصواريخ سام الروسية في سهل البقاع، وهدّدت طريق بيروت دمشق وأصبح جيش شارون على مسافة ١٠ كيلومترات من العاصمة السورية، عندها تدخّل الرئيس حافظ الأسد شخصياً طالباً من جنوده القتال ببسالة، موجّهًا بنفسه كتائبه الخاصة للتصدّي للقوات الاسرائيلية المتقدّمة باتجاه البقاع. أما الاتحاد السوفياتي، الذي رفض تأمين غطاء جوّي لدمشق، أيقن أنَّ الخطر يتهدّد سوريا، ولم يُرسل زعيمه ليونيد بريجنيف رسالته الشهيرة للرئيس ريغن، إلا بعد تدمير صواريخ «سام ٦» بشكل غير متوقَّع، عندها فقط وجَّه الرئيس الأميركي رونالد ريغن تحذيرًا لرئيس الحكومة الاسرائيلية مناحيم بيغن وذلك بعدما تخطّى الجيش الإسرائيلي الحدود المتَّفق عليها وأصبح يهدّد النفوذ السوري في لبنان، ووصل الى حدّ جعل الإتحاد السوفياتي يهدّد بأن الحرب ستتحوّل حربًا إقليمية وأكثر.

باستثناء بيانات الإستنكار والدعوات الى ضبط النفس ووقف إطلاق النار، لم يحرّك أي من الدول العربية أو الأجنبية ساكنًا لوقف سيل الدماء وسقوط الضحايا والدمار الذي لم يشهد الشرق الاوسط مثيلاً له من قبل ودفع لبنان واللبنانيون ثمن الطموحات الفلسطينية بوطن بديل والسعي السوري الى لعب دور إقليمي على حساب الجار الأصغر والأضعف، وثمن طمع إسرائيل بجرّ بلد عربي آخر لتوقيع إتفاق سلام يحمي حدودها الشمالية ويُقفل بابًا تأتي منه رياح عدم الإستقرار، فيما كان اللبنانيون منقسمين مشتّتين بين داعم للقضية الفلسطينية ولو على حساب الوجود والكيان، وبين موافق على الدور السوري من منطلق العروبة والدين والجغرافيا، وبين معتبر أن خلاص لبنان من المُصيبَتين الفلسطينية والسورية يستأهل التعاون «حتى مع الشيطان»... والنتيجة أن اللبنانيين دعموا كل الجيوش والمنظّمات بإستثناء جيشهم الوطنيّ، وأمَّنوا مصالح كلّ الدول ما عدا مصلحة وطنهم، ويبدو انهم لم يتعلّموا من تجارب ومصائب الماضي، لذلك قد يكون محكومًا عليهم العيش من جديد تحت هاجس الحروب وعدم الاستقرار...

هذه الحقبة الصاخبة والدامية التي طبعت تاريخ لبنان، نتذكّرها بسلسلة من المعلومات والأحداث والوثائق التي تسلّط الضوء بالتفاصيل الدقيقة على خفايا ومحاضر وأسرار تلك المرحلة الخطيرة والصاخبة، علّنا نتعلّم من تجارب الماضي ونأخذ من سيل الدماء والدمار عِبَرًا وأمثولات كي لا نقع في التجربة من جديد، ليحقّ لنا أن نطمح لسلامٍ ليس حلمًا ولدولةٍ ليست وهمًا.

خطّة الإجتياح والإنتخاب

زحلة فَتَحت طريق واشنطن

سارت التحضيرات لعملية الاجتياح الاسرائيلي للبنان، أو لعملية «سلامة الجليل» كما أطلق عليها الاسرائيليون العام ١٩٨٢، بالتوازي مع التحضيرات والاستعدادات لوصول بشير الجميل الى رئاسة الجمهورية.

فصديق بشير، زاهي البستاني،[١] الذي كان منسّق ومنظّم عملية الانتخاب، أكّد أنّ الذين زعموا أنَّ الظروف هي التي أوصلت بشير الى رئاسة الجمهورية مخطئين، لأنّ بشير قرّر الوصول الى السلطة قبل الإجتياح الاسرائيلي، وذلك في تشرين الاول ١٩٨١ عندما اتّخذت «القوات اللبنانية» قراراً بتسلّم الحكم في العام ١٩٨٢.

جاء التعبير عن القرار في خطاب شهير ألقاه بشير في تشرين الثاني ١٩٨١ لمناسبة عيد الكتائب في انطلياس، حدّد فيه صفات الرئيس المنتظر قائلاً: «نريد رئيساً وقف لمرّة فوق قبر شهيد. نريد رئيساً يصرّف أفعال الجزم..» وقد علّق كثر عند ذاك بالقول: «انها صفات لا تنطبق الا عليه».[٢]

كان أعضاء فريق عمل بشير يعملون بجديّة مطلقة ليصبح قائدهم رئيسًا، وتمّ وضع سلسلة مشاريع قد تتبدّل مع تغيّر الاحتمالات، لكنّها تخدم هدفًا واحدًا: الوصول الى الرئاسة.

ويقول زاهي البستاني: «بعضهم، كي لا نقول الجميع، لم يقبض الأمر جدّيًا وفسّر الامر بأنه «جنون» بشير وتهوّر غير واقعي، حتى الرئيس الياس سركيس، الذي بدا على تقارب من بشير في العامين الأخيرين من عهده، لم يكن حسم الموضوع في قرارة نفسه. ففي أفضل الأحوال، كان سركيس يعتبر، عام ١٩٨١، أنّ بشير بات رقمًا قويًّا يصعب إخراجه من لعبة التفاوض في إنتخابات ١٩٨٢، لكنَّ الأرجح أنه لم يفكّر في إمكان وصوله الى منصب رئيس الجمهورية».

١- كان موظفًا في المديرية العامة للأمن العام ثم عينّه الرئيس أمين الجميل في بداية حكمه مديراً للأمن العام.
٢- المسيرة ١٦ ايلول ١٩٩٦.

بعد حرب زحلة، برز نجم بشير الجميل بقوّة، وأصبح الشاب الحاسم والحازم مؤهّلاً للعب دور كبير في لبنان وفي الصراع العربي الاسرائيلي وفي منطقة الشرق الاوسط .

وضع فريق بشير الجميل جملة أهداف استراتيجية وتكتيّة لإنهاء الازمة في لبنان، أوّلها إخراج كل المنظمات والجيوش الأجنبية من أراضيه، ولو كان ذلك بالاستنجاد بإسرائيل... وثانيها وصول بشير الجميل الى رئاسة الجمهورية لإبقاء الحضور المسيحي قويًّا في الدولة والسلطة، لا بل على رأس الدولة أو السلطة.

كان بشير قد شبك علاقات مهمّة مع إسرائيل، «التي كانت حليف الضرورة الوحيد»، واجتاز مع حكومة بيغن منتصف الطريق، وكان واثقًا مع قليلين من المقرّبين منه انّ طريقه الى الرئاسة يتّم شقّها بقوّة وثبات، حتى ان السوريّن باتوا يعلمون ان بشير يملك قوّة كبيرة، وان علاقاته مع اسرائيل ومع الولايات المتّحدة تطوّرت كثيراً بعد حرب زحلة وجعلته رقمًا صعبًا في المعادلة اللبنانية.

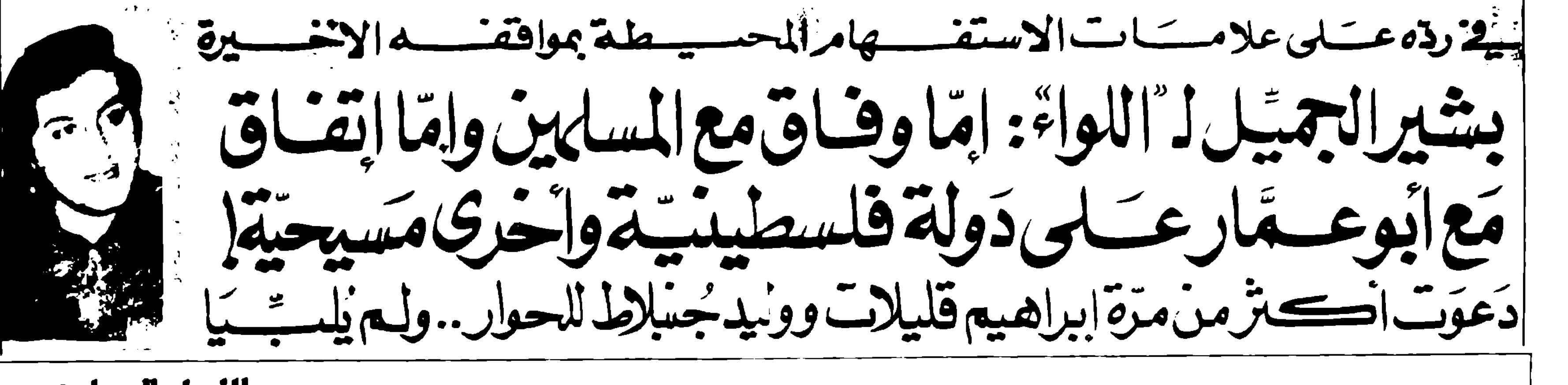
كانت إدارة البيت الابيض ولفترة خلت، تمتنع عن التعاطي مع بشير الجميل، وتحجب عنه تأشيرة الدخول الى الولايات المتحدة، لكنها عادت ورأت فيه عنصرًا هامًّا يفيد سياساتها في الشرق، فعادت وفتحت له أبوابها واستقبلته بترحيب كبير عندما زارها في ١٩٨١/٧/٣٠، حيث أمضى أيّامًا عدة، إلتقى في خلالها مسؤولي إدارتها، حاملاً معه تصوّرًا يُدخل لبنان كموقع مهمّ في الإستراتيجية الأميركية، بحيث لا تكون إسرائيل وحدها هي التي تستأثر بالاهتمام الأميركي وتحتكره... وما مهّد له طريق واشنطن كان تقرّبه من فيليب حبيب الذي نقل إنطباعات جيّدة عن الزعيم اللبناني الصاعد إلى الإدارة الأميركية، ما دفع دين فيشر، الناطق بإسم وزارة الخارجية الأميركية في ذلك الحين الى القول في (١٩٨١/٨/٤): «الشيخ بشير الجميّل شخصيّة سياسية لبنانية مهمّة ونتوقّع أن يمثّل دورًا مهمًّا في لبنان...». وكان حلم بشير أن يصبح لبنان في نظر الولايات المتحدة الأميركية، في مستوى إسرائيل، من حيث الأهميَّة والموقع، لا بل إعتبر أن لبنان سيكون أفضل من إسرائيل لأنه مقبولٌ من الدول العربية والمحيط... وكان متأكّدًا أنّ ذلك لن يتحقّق إلاّ بإزالة عقبتين أساسيتين وكابوسين كبيرين، هما منظمة التحرير الفلسطينية وجيش حافظ الأسد، وذلك عبر إخراج الأولى من لبنان وعودة السوريين إلى بلدهم وعدم تدخّلهم في الشؤون اللبنانية... ولم يكن بإمكان أيّ كان تنفيذ هذه المهمّة سوى الولايات المتحدة وإسرائيل.



في ردّه على علامات الاستفهام المحيطة بمواقفه الأخيرة

بشير الجميّل لـ "اللواء": إمّا وفاق مع المسلمين وإمّا إتفاق مَع أبو عمّار على دولة فلسطينيّة وأخرى مسيحيّة!

دعوت أكثر من مرّة إبراهيم قليلات ووليد جنبلاط للحوار.. ولم يلبّيا



اللواء السياسي

اللبنانيون تخطوا في الشهر الماضي مرحلة الشك المتبادل وبقي ان يخرجوا من قفص الإتهام مع اشراك المسلمين في أمن هذا البلد لتأكيد زيادة فعالية العمل

عندنا حلول واحتمالات أخرى لا نريد اللجوء إليها .. والمفروض ان لا يتأخر الحكم بتكملة الخطوة



العسكريّ وعارض الأزياء

بناءً على تقارير إستخباراتية سوريّة قُدّمت للرئيس حافظ الأسد عن توطّد علاقات بشير مع واشنطن وإتصاله الوثيق باسرائيل، حاولت سوريا إستمالته أو ترويضه بشتّى الوسائل بعدما فشلت عملية ليّ ذراعه خلال حرب زحلة التي خرج منها أقوى أضعاف ما كان عليه قبلها...

في أول ايلول ١٩٨١، دعت سوريا لجنة الرعاية العربية، التي ساهمت في حلّ قضية حصار زحلة، لزيارة دمشق. وفي ٣ ايلول، التقى وزيرا الخارجية السعودي الامير سعود الفيصل والكويتي صباح الاحمد الصباح الرئيس حافظ الاسد بحضور نظيرهما السوري عبد الحليم خدام، واقترح المجتمعون لقاء بين سورية والقوات اللبنانية، بحجّة العمل على فتح نقاط مرور بين مختلف مناطق العاصمة وفرض مراقبة على الساحل للحؤول دون وصول شحنات الأسلحة. لكن الهدف السوري كان فتح حوار مع بشير في محاولة لاستشفاف ما يدور في ذهنه او لاستيعابه...

اتصل الوزيران بسفيري بلادهما في لبنان، اللذين إتّصلا بدورهما ببشير واقترحا عليه عقد إجتماع في قصر بعبدا بحضور محمد غانم رئيس جهاز المخابرات السورية في لبنان.

في ٤ ايلول، حصل اللقاء في القصر الجمهوري واستقبل غانم بشير بلياقة ومودّة قائلاً: «أخي العزيز بشير، مرّ وقت طويل ولم نتلاقى. كنت أقول دائماً ان الازمة لن تُحلّ الا اذا التقينا».



الصباح، خدّام والفيصل ومساعي للقاء السوريين مع بشير

لم يكن بشير مهتمّاً بالتودّد الى السوريين أو مسايرتهم في ايّ أمر... فدخل فوراً في صلب الموضوع موحيًا لغانم بأن لا وقت لديه ليضيّعه... وقال له :

«بخصوص فتح نقاط عبور، نحن موافقون تماماً... واذا كنتم تريدون حقّاً خفض التوتر، فلا بدّ ان تطلبوا من رجالكم أن ينسحبوا من بناية أشمون»[١].

فأجاب غانم: «سندرس المسألة».

ردّ بشير بتهكّم: «كالعادة! هكذا تردّون دومًا عندما ترفضون».

فقال غانم: «واذا تدخّلت العناصر غير المنضبطة من هذا الجانب وذاك؟»

إمتعض بشير وردّ بجفاء: «ليس لدينا عناصر غير منضبطة، أنا مسؤول عن كل رصاصة تُطلق من عندنا. امّا في ما يخصّكم فأنتم مسؤولون مباشرة عن المناطق التي تسيطرون عليها. لذلك لا تحدّثني عن عناصر غير منضبطة... يجب أن نفهم ما وراء طلبكم، وهو مراقبة الساحل . هناك ٣٠٠٠٠ من جنودكم ينتشرون على الاراضي اللبنانية، أنتم تسمّونهم إخوان، وانا أُصرّ على تسميتهم جيش احتلال. هذا من دون ذكر الـ٦٠٠٠٠٠ فلسطيني في لبنان... في واشنطن أعلنتُ اننا قطعنا علاقاتنا بإسرائيل ولكننا لا نزال نتلقّى الاسلحة التي يرسلها لنا الاسرائيليون. أريد أن أكون واضحًا جدًا حتى لا يكون ثمّة سوء تفاهم حول هذا الموضوع، طالما هناك جنديّ واحد يحتلّ لبنان سأظلّ أتلقّى أسلحة للدفاع عن بلدي... لا رقابة، مهما كانت طبيعتها تصل الى غايتها، لأنّكم عمليًّا، ستقومون بنصب خيمة في الاكوامارينا، ثم تضعون فيها جنودًا لحمايتها، بعد ذلك سترغبون في مراقبة الطريق المؤدية إليها والتي يمرّ تموينكم عبرها وتنتهون باحتلال مناطقنا مجدداً. لا! لا! ولا! انا موافق على المبدأ الذي يرمي الى منع وصول السلاح عن طريق البحر، وكذلك عن طريق البرّ، عبر الحدود اللبنانية - السورية. تريدون محاصرة تموينا بالسلاح بينما تظلّ الاسلحة تتدفّق للآخرين».

هنا تدخّل السفير الكويتي عبد الحميد البعيجان وسأل بشير: «واذا هاجمت اسرائيل الفلسطينيين، بأيّة أسلحة سيدافعون عن انفسهم؟»

فأجابه بشير: «ماذا يفعل الجيش السوري هنا؟ اذا كان الفلسطينيون بحاجة الى أسلحة سأقدّمها لهم، ولكن اذا هاجمني السوريون بوحشية، هل ستدافعون عني؟»

فطلب محمد غانم عدم تسجيل هذا في المحضر...

ثم أخذ بشير ورقة وكتب بيده: «مبدئياً نحن موافقون على منع دخول أيّ قطعة سلاح عبر المرافىء

١- بناية موقعها استراتيجي يُشرف على وسط بيروت

والساحل والحدود البريّة، لمصلحة أي فريق في الصراع اللبناني، باستثناء السلاح الخاص بالقوات المسلحة التابعة للدولة اللبنانية، ويعود الى رئيس الجمهورية اللبنانية تحديد كيفية تطبيق هذا الحظر. اننا نتعهّد باحترام هذا القرار؟» فوافق الجميع.

أطلع بشير السفير الاميركي وكميل شمعون ووالده بيار الجميل على مضمون لقاء بعبدا... وصدر بيان رسمي في المساء نصّ على ما يلي:

«قرّرت لجنة المساعي الحميدة حظر دخول أي سلاح الى لبنان ما عدا الاسلحة الخاصة بالقوات الشرعية»[1].



إغتيال دولامار أمام حاجز سوري

في اليوم التالي، اغتيل السفير الفرنسي في بيروت لوي دو لامار أمام حاجز سوري، على بعد ١٠٠ متر من منزله، فألغيت كلّ مفاعيل اتفاق بعبدا، ثم استؤنفت عمليات القصف العشوائي المتقطّع على الاحياء السكنية.

في ١١ ايلول، اتصل السفير السعودي بقائد القوات اللبنانية طالبًا منه أن يوافق على الاجتماع مع لجنة المساعي (الرقابة) من جديد.

صعد بشير الى بعبدا ببزّته العسكرية (قاصدًا توجيه رسالة الى اللجنة بأن الاجواء أجواء حرب بعد قصف المنطقة الشرقية)، وما إن جلس الى طاولة الاجتماع، حتى استدار نحو محمد غانم، الذي كان يرتدي بذلة بيضاء أنيقة وسأله بتهكّم:

«أنت عارض أزياء أم ضابط؟»... وتابع قبل أن يُجيب غانم: «في المرة الاخيرة، توافقنا على ٣ نقاط: وقف النار، مراقبة الساحل وفتح المعابر. النقطة الاولى لم تُطبّق،أما الثانية فأنا لا أوافق على البيان الذي أذيع، كما أثرنا مسألة مراقبة الحدود البرية، لماذا هذا الأمر غير وارد في البيان؟»

«لكن نحن جيش!» صرخ غانم متفرّساً بوجه بشير. «بحقّ الله، هذا يكفي! نتعامل دولة مع دولة ولكنّك أنت لست دولة».

١- إمتعض بشير من البيان لأنه كان حدّد خلال الاجتماع ان السلاح هو للقوات التابعة للدولة اللبنانية اي الجيش اللبناني وليس القوات الشرعية التي كانت صفة للجيش السوري.



بشير صعد الى بعبدا بالبذلة العسكرية وسأل غانم ساخراً: «أنت عسكري أم عارض أزياء!؟»

فردّ بشير بالحدّة نفسها : «أنا لست في نزاع مع جيش زيمبابواي! أنا في نزاع معك ومع جيشك المحتلّ، لماذا تريدون أن تراقبوني؟ لا يمكنكم أن تفرضوا علي رقابة من دون أن تخضعوا لها أيضاً».

فهدأ صوت غانم وأجاب بوديّة: «أخي، إننا نفتح صفحة جديدة في علاقاتنا، نحن في مرحلة تستلزم ثقة متبادلة. محمد الخولي إبن قحبة، وابراهيم الحويجي[1] لا شيء، الآن أنا المسؤول عن كلّ ما يجري في لبنان، لكن، قم أنت من جانبك بحركة إيجابية».

فسأله بشير :«ماذا عن بناية أشمون ؟ وماذا عن معتقلينا؟»

غانم: «إننا أيضاً ندرس الموضوع».

بشير:«عندما ستنتهي من الدرس، أخبرني. لقد إتفقنا على فتح نقاط عبور وجئتم اليوم تكلّموني عن كلّ خطوط التماس. هذه قضية سياسية. هل نستطيع حلّها؟»

غانم: «سينتشر الجيش اللبناني من جهتكم. نحن نؤيد نشر الجيش من السوديكو حتى المرفأ ...»

١- إبراهيم الحويجي: ورد اسمه على انه المتورط باغتيال كمال جنبلاط وهو كان من أبرز ضباط المخابرات السورية في لبنان ... تفاصيل الاغتيال في كتاب «المواجهات الاولى للتاريخ معارك سوريا في لبنان - الجزء الاول».

بشير: «أنا موافق، لننتقل فوراً الى تنفيذ هذا القرار».

غانم: «أريد أن يتولّى الجيش خطوط التماس. من جهتي، سأمنع ارتداء الملابس العسكرية، كما سأمنع مرور الآليات العسكرية والفلسطينيين من التحرّك وسأغلق ثكنات الميليشيات في بيروت الغربية...».

توجّه بشير نحو السفير السعودي علي الشاعر وقال له: «سجّل هذا في ملاحظاتك، أخ علي، سجّل كل ما قاله محمد غانم، هذا يعني أن خرطوشة واحدة لن تُطلق على كل خط التماس»... وتحدّى غانم قائلاً : «أنت لا تستطيع أن تفعل شيئاً في الغربية، مع كل ما فيها من دكاكين. وبعد، عندما تتصّرف بشكل جديّ، سيقفون في الصف كلّهم، لكني حاليًا لا اعتقد لثانية واحدة انك تستطيع التوصّل الى نتيجة كهذه».

وهنا استدار علي الشاعر نحو الضابط السوري وقال : «بشير يتحدّاك كي تحقّق كل مشروعك بأسرع ما يمكن».

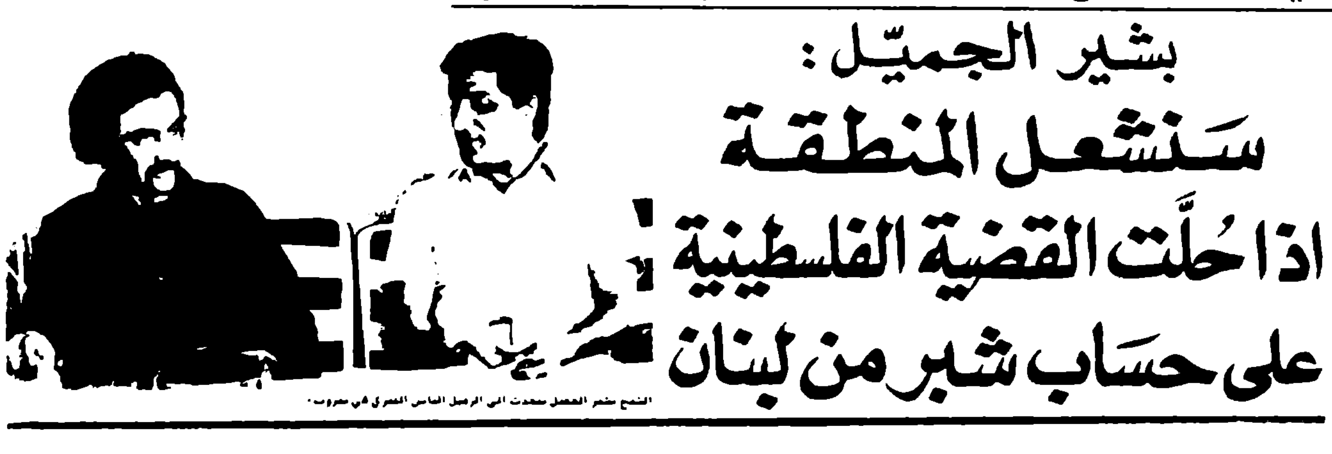
في اليوم التالي فُتح معبر المتحف، الذي يحاذي ميدان سباق الخيل ومنزل السفير الفرنسي، مجدّدًا أمام السير بعد إغلاق شبه تامّ على مدى خمسة اشهر. لكن الاسبوع التالي اتسّم بسلسلة محاولات اغتيال بالسيارات المفخخة، أوقعت ٤٠ قتيلاً وأكثر من ١٤٠ جريحًا في بيروت الغربية.



محاولة فاشلة لفتح المعابر بين بيروت الشرقية والغربية

في حوار صريح عن الحرب والسلم ومستقبل الدولة

بشير الجميّل: سَنشعل المنطقة اذا حُلّت القضية الفلسطينية على حساب شبر من لبنان



الشيخ بشير الجميل يتحدث الى الزميل الياس الديري في بيروت.

الشيخ بشير الجميل صريح في حديثه عن الحرب والسلم والمستقبل، عن اسباب الحرب وشروط السلم وصورة المستقبل: "هناك ستة عوامل ادت الى الانفجار، وما دامت اسباب الخلاف الكبير لم تعالج من جذورها، وفي العمق، فان مقومات انفجار آخر لا تزال موجودة. على صعيد لبنان، وعلى نطاق اوسع".

وكلامه واضح ومبسّط كذلك عندما يتناول "مشكلتنا مع الفلسطينيين الذين يفوقون قدرة لبنان وطاقته على التحمّل: لقد ضحينا كثيرا ودفعنا ثمنا باهظاً".

ولان بشير الجميل يعرف ما يريد وما لا يريد، لا يخفي عدم اقتناعه بجدوى اتفاق شتورة: "وقعنا عشرات الاتفاقات مع الفلسطينيين وعقدنا عشرات الاجتماعات، قبل الحرب وخلالها، وفوقها ستون سبعون ساعة عمل، فماذا كانت النتيجة؟ ما من اتفاق طلع عليه الضوء".

والقائد العام لـ"القوات اللبنانية الموحدة"، "رئيس المجلس الحربي" في حزب الكتائب، عضو المكتب السياسي، الشاب المتقد حماسة، يبلّغ العرب: "نحن عامل الاستقرار في المنطقة. وكل حل لا يكون منسجما مع مصلحة لبنان ويحافظ على كل شبر من اراضيه، من الشمال الجنوب، هو حل مرفوض منا".

ولكي لا يكون هناك اي التباس يعلن بشير الجميل، بثقة وهدوء: "يخطىء الذين يعتقدون ان من الممكن حل ازمة المنطقة على حساب لبنان. ان اي قرار لن يكون في مصلحة بلادنا سيؤدي الى نتائج خطيرة. فليعلم العرب، وليعلم الجميع، اننا مستعدون لان نشعل المنطقة".

وفي هذا السياق يضع بشير الجميل النقاط على الحروف: "مطلوب من العرب ان يعترفوا نهائيا بوجود المسيحيين في لبنان. فنحن لا نستطيع ان نتحمل تهديدا لوجودنا كل عشر سنين. وكل مرة، بعد كل حرب، يعودون الينا معتذرين: "لا تؤاخذونا اخطأنا في حقكم".

وبشير الجميل يعيد الامور لا الى نصابها فحسب بل الى الوقائع والاحداث: "من يضمن لنا انه بعد سنة او سنتين لن تكون هناك مشكلة جديدة مع الفلسطينيين تكلفنا المزيد من الضحايا والمزيد من الخراب والمزيد من التعتير. ثم يأتي من يقول: لا تواخذونا. اخطأنا معكم. استروا ما شفتوا منا. ستون الف قتيل بسيطة، سامحونا بهم وتعالوا نبدأ من جديد".

وبشير الجميل يرى ان حل "الاعتراف بالخطأ والرجوع عنه" لم يعد فضيلة، لم يعد حلا. والتفاهم غير ممكن على هذا الاساس: "نتفاهم مع من على ماذا؟ مع المسلمين؟ انهم غير مستقلين في مواقفهم الداخلية. ان قرارهم يجب ان يتخذ اما في دمشق واما في القاهرة واما في اي مكان آخر".

على هذا يلتفت بشير الجميل الى الماضي القريب: "كان هناك محاور واحد هو كمال جنبلاط. رحل كمال جنبلاط. الآن مع من تريد ان نتحاور".

ومن هنا يرفض قائد "القوات اللبنانية الموحدة" المصالحات العشائرية ولقاءات تبويس اللحى واتفاقات عفاالله عما مضى: "هذه الحرب احدثت تغييرات في الواقع اللبناني. صراحة لا نريد بعد الآن دولة لا يقدر سفيرها في الخارج ان يرفع علمها خوفا من الفلسطينيين. لا نريد نصف دولة او شبه دولة. لقد قدمنا شهداءنا وتضحياتنا من أجل الخلاص الكامل والخروج نهائيا من هذه الدوامة".

ولانه غير راض عما يجري الآن على الساحة اللبنانية يطلب بشير الجميل من "هذه الدولة غير الموجودة" ان تكون في حجم "التضحيات التي اعطيناها، فتوحي لنا بالامل والثقة وتتخذ موقفا صريحا وشجاعا من أزمة المصير التي نعيشها".

وهو غير راض عن الحكومة: "صار لنا سنة عاطيينها فرصة. اعطيناها كل شيء. نحن اعطيناها الشرعية. فماذا اعطتنا؟ مراسيم على الورق فقط". "وفوق الدكة شرطوطة" جاءت تجبي اليوم ضرائب ورسوما عن خدمات لم تقدمها خلال سنتي الحرب".

وبشير الجميل يغالط الدولة في نظرتها الى واقع الحال: "ان ما حدث ليس مجرد زلزال من الزلازل التي تدمر وتقتل خلال دقائق. هناك هوة عميقة بين اللبنانيين وصدع لا يمكن رأبه بالاسعافات والبطانيات وتعمير الحجار. ولبنان لا يتوحد ويعود بقرار او بمرسوم".

وعن حرب الجنوب يقول "رئيس المجلس الحربي" ان الحرب هناك هي حرب الجبارين اميركا والاتحاد السوفياتي "واللبناني المعتر واقع بين الاثنين كحجر بين شاقوفين. لذلك لا يمكننا، كلبنانيين، ان نقبل ببقاء الجنوب سلعة تتقاسمها اسرائيل والفلسطينيون".

والحل؟

"مشكلتنا لا يمكن اعتبارها منفصلة عن مشكلة الشرق الاوسط. ولن يكون هناك حل لبناني – لبناني من دون حل لازمة المنطقة".

الياس الديري

إغتيال السادات والبديل اللبناني

في ٦ تشرين الاول ١٩٨١، وخلال عرض عسكري، شاهد العالم على الشاشات مباشرة اغتيال الرئيس انور السادات في ما سُمّيَ بـ«حادث المنصّة» أثناء الإحتفال بإنتصار «حرب أكتوبر». ونفذّ عملية الاغتيال خالد الإسلامبولي الذي حُكم عليه لاحقًا بالإعدام رميًا بالرصاص.

وكان خالد الإسلامبولي، المخطّط والمنفّذ الرئيسي لعملية الاغتيال، ترجّل من سيارته أثناء العرض بعد إجبار سائقها - والذي لم يكن مشتركًا في العملية - على إيقافها، ثم توجّه مباشرة نحو المنصّة وهو يُطلق النار بغزارة على الصفّ الأول مستهدفاً السادات. أصابت رصاصاته صدر السادات وقلبه ما ادّى الى وفاته. أُصيب الاسلامبولي في ساحة العرض وتمّ القبض عليه ومحاكمته ومن ثم إعدامه رمياً بالرصاص. يُذكر ان الاسلامبولي هو الذي اختار فكرة الهجوم بشكل مباشر على المنصّة من الأمام من بين عدّة بدائل كانت مطروحة آنذاك، منها مهاجمة المنصّة بواسطة إحدى طائرات العرض العسكري أو مهاجمة استراحة السادات أثناء إقامته فيها. وشارك عبود الزمّر مع الاسلامبولي في تخطيط و تنفيذ عملية الاغتيال وصدر عليه حكمان بالسجن في قضيتي اغتيال السادات (٢٥ عامًا) وتنظيم الجهاد (١٥ عامًا).

كما كان ضمن فريق إغتيال السادات حسين عباس وهو قنّاص في القوات المسلّحة. كان يجلس فوق سيارة نقل الجنود التي كانت تُقلّ فريق التنفيذ، وانتظر حتى حصل على فرصة اقتناص السادات، وبالفعل أطلق طلقة واحدة اخترقت رقبة الرئيس الراحل وكانت من الأسباب الرئيسية لوفاته، بعدها ترجّل من السيارة وتابع ما حدث لزملائه من خلال تسلّله إلى منصة المشاهدين، ثمّ رحل كأي شخص عادي ولم يتّم القبض عليه إلا بعد ثلاثة أيام إثر إعترافات زملائه تحت التعذيب.

كان لاغتيال السادات تداعيات معنويّة على الاسرائيليين وعلى موقّعي السلام معهم، وقد شاركت الحكومة الاسرائيلية في تشييع الرئيس المصري عبر وفد رفيع ترأسه مناحيم بيغن... فيما شعرت القوى العربية الرافضة للسلام بالانتصار والنشوة...

إعتبر بعض المسؤولين الاسرائيليين ان اغتيال السادات شكّل حافزًا اضافيًا لحكومة تلّ أبيب للاسراع في عقد سلام مع دولة عربية أخرى، وكان لبنان الأقرب الى ذلك من خلال بشير الجميّل وقواتّه..... ويروي جوزيف أبو خليل في كتابه «قصّة الموارنة في الحرب» عن زيارةٍ قام بها مع بشير ومسؤولين آخرين الى إسرائيل: «إستقبلنا رئيس الحكومة الإسرائيلية مناحيم بيغن في منزله في تلّ أبيب، يحيط به وزير الدفاع شارون وعدد من كبار ضباط الجيش وموظّفي وزارة الخارجية. وكان اللقاء لقاء مجاملة أكثر مما هو لقاء مفاوضة ومباحثات.. طلب شارون الاختلاء بالشيخ بشير، في مكتب مجاور لقاعة الإستقبال...

دامت الخلوة بين الرَجلين ما يُقارب الساعة... وعبّر بيغن عن إعجابه بالروح القتالية التي «بلغتني صور مجيدة عنها لدى مقاتليكم». وقال: «لا تتّكلوا إلاّ على أنفسكم، فالضمير العالمي قلّما يستفيق، وهو إن استفاق فمتأخر جداً».

ويضيف أبو خليل: «ما عرفته لاحقاً من الشيخ بشير هو أن الوزير شارون وضع لنفسه هدفاً لا يزال يفتّش عن الطريق الأقرب والأقلّ كلفة إليه، ألا وهو تدمير البنية العسكرية والسياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية»...



الهدف الإسرائيلي: تدمير البنية العسكرية والسياسية لمنظمة التحرير

شريط كامل بالصور.. للجريمة البشعة والقتلة الخو[illegible]

الدقيقة السوداء.. كيف اغتالوا السادات

صور خاصة لآخر ساعة • بعدسة : مكرم ج[illegible]

● دقيقة سوداء واحدة توقف فيها الزمن– الساعة الثانية عشرة و٥٩ دقيقة ظهرا –حينما انطلقت رصاصات الغدر والخيانة الى صدر البطل الشهيد أنور السا[illegible]
وفي نفس اللحظة سجلت عدسة « آخر ساعة » في شريط كامل لحظة بلحظة جريمة اغتيال « السلام » والأيدي القذرة التي ارتكبتها ..
كيف قفز القتلة الخونة من عربة المدفع « الهاوتزر » – في طابور المدفعية – لحظة العرض الجوي لطائرات الميراج ؟
وكيف تقدموا صوب المنصة حيث كان يجلس الرئيس الشهيد السادات وهم يطلقون الرصاص والقنابل اليدوية ؟
ان آخر ساعة تنفرد بهذا الشريط الذي التقطه مصورها الخاص – مكرم جاد الكريم – لتفاصيل أبشع جريمة ارتكبها الخونة ضد مصر وقائدها وشعبها –



● في نفس تقدم القاتل الاول بمدفعه الرشاش وتوقف على مسافة امتار من مكان الرئيس السادات وهو يواصل اطلاق نيرانه .. لكي يحمي القاتل الذي وصل الى المنصة من الخلف واخذ يطلق رصاص بندقيته الآلية ليصيب الرئيس .. وكان رجال الحرس مازالوا يطلقون الرصاص في اتجاه القاتل لمحاولة ايقافه ..

صور إغتيال السادات كما نشرتها جريدة «آخر ساعة» لمصورها مكرم جاد الكريم

لحظة الهجوم على المنصّة التي كان يجلس فيها الرئيس السادات

من الأسباب التي دفعت خالد الإسلامبولي الى إغتيال السادات:

- القوانين التي تُحكم بها البلاد لا تتفق مع تعاليم الإسلام وشرائعه.
- الصلح الذي أجراه السادات مع اليهود.
- إعتقال علماء المسلمين واضطهادهم وإهانتهم.



الإسلامبولي في قفص المحكمة



بيغن يصافح السادات برعاية كارتر «إتفاق كامب دايفيد»

شارون يهبط في جونيه

«يقبّلون الأيادي ويقتلون في نفس الوقت... كبّلت أياديهم»

في أواخر كانون الأول ١٩٨١، وبعد زيارة لمجموعة من مسؤولي الموساد الى مناطق سيطرة القوات، وبناء على تقريرهم، قرّر شارون زيارة لبنان. ويقول في مذكّراته: «يعود تاريخ لقائي الاول ببشير الجميل الى أيام وزارة الزراعة التي تولّيتها. كان يزور آنذاك القدس لمناقشة اسرائيل حول مساعدة المسيحيين، فوجدته رجلاً حازماً واثقاً من نفسه. كان كلامه ينمّ عن قناعة وسطوة بالغتين، عن رجل سبق له أن برهن عن مواهبه القيادية، لكن ثمّة ما كان يقول لي بأنني لن أتمكّن من تكوين فكرة أوضح عن هذه الشخصية إلاّ إذا ذهبت الى بيته، وقابلت رجاله في مساكنهم وبين عائلاتهم، واذا قمت بجولة على المواقع المسيحية، حينئذ فقط قد أتمكّن من الإحاطة به وتقدير جوانب تحرّكه...

وافق بيغن على رحلتي، وفي غضون ذلك تلقّيت من بشير الجميل دعوة شخصية للمجيء الى لبنان كي أقابله وأقابل والده بيار الجميل وغيرهما من القادة، وأعلمني بيغن أن وضع المسيحيين في تدهور مستمرّ، فالجيش السوري يواصل استنزاف قواتهم ببطء، وسينتهي به المطاف بلا ريب الى تقليص رقعة الأراضي المسيحية. لذا كان من الضروري أن يذهب أحدهم الى لبنان للإطلاع على الوضع القائم».

ويضيف شارون: «أُحيط الجميّل علماً بوصول شخصيّة رسميّة مهمّة، الى لبنان في مطلع كانون الثاني يناير ١٩٨٢. ثمّ نظّمنا جدول الرحلة بأدّق تفاصيلها... وجدنا بأنّ الطائرة المروحية هي الوسيلة الفُضلى، وربما الوحيدة، للوصول الى القطاع المسيحي، وذلك عبر التحليق فوق المتوسّط. لذا تزوّدنا بزوارق ومعدّات إنقاذ في الماء، واتّخذنا بعض التدابير تحسّباً لهبوط قسريّ. ووُضع تحت تصرّفي عناصر متخصّصون لضمان أمني وأمن الذين رافقوني وهم رئيس أجهزة المخابرات يهوشع ساغي، ومساعد رئيس هيئة الاركان الجنرال موشي ليفي، بالإضافة الى

الجنرالات أمنون شاحاك، ابراهام تامير مستشار الوزير والمعروف بإسم ابراشا، اوري ساغي رئيس المكتب الثالث التابع لأركان الجيش الاسرائيلي، عاموس يارون رئيس الوحدات الخاصة الإسرائيلية والطبيب المدني بورسلاف غولدمن وهو صديقي الشخصي ويرافقني دائماً بمهمّاتي السرية، إضافةً الى ثلاثة من جهاز الموساد هم: مناحيم نافوت (مندي)، وأفنيرر آزولاي (فيليب) وميكي ارمور (ماريون). وواكبت الطوافة مجموعة من المقاتلات محلّقة على ارتفاع شاهق، بالإضافة الى فريق نجدة...».

ويكمل شارون: «ليل ١٢ كانون الثاني ١٩٨٢، أقلعت طائرتنا من تلّ أبيب تحت جنح الظلام وحلّقت في محاذاة الشاطىء حتى حيفا. ومن هناك إنعطفت في اتجاه البحر مُبتعدة عن الساحل اللبناني المحفوف ببطاريّات المدافع المضادة للطائرات «دي سي ايه» فطالعتنا عن اليمين أنوار صور فأنوار صيدا.

وبعد مضي نصف ساعة، أصبحت بيروت على مرأى منّا، فابتعدنا اكثر عن الساحل... أخيراً اتجهنا الى جونيه، المرفأ المسيحي في شمال بيروت، فحطّت الطائرة على الشاطىء[١] حيث كان في انتظارنا ضباط ارتباطنا مع بشير الجميل وكبار ضباطه. فاحتضنني بشير وتبادلنا القبل وباح لي بالآتي: «لم يُعلمني أحد بقدومك ولكنّي كنت متأكداً أن الآتي هو أنت».

نظرتُ الى البحر، فرأيت آلاف النقاط المضيئة وهي تتراقص على صفحة المياه، فقال لي بشير موضحاً: «انّها مراكب سفن شحن». فسألته متعجباً: «ولكنّكم في حالة حرب، كيف يُمكن لسفن الشحن هذه أن ترسو هنا على المكشوف؟». فأجابني: «صحيح اننا في حالة حرب، لكن الحرب شيء والأعمال شيء آخر. اعلموا جيداً أنّ الحرب لم تُعق يوماً سير الأعمال ولا العلاقات التجارية على رغم فداحة الوضع...».

ويضيف شارون: «أصرّيت على مشاهدة بيروت قبل أن تستحوذ عليّ الجولات واللقاءات المقرّر انعقادها صباح اليوم التالي. كان بشير يقود سيارته، تواكبه عربتان تُقلاّن حرسه الخاص، واحدة من الأمام والثانية من الخلف. إجتزنا العاصمة برفقتهما... كانت الشوارع تغصّ بالسيارات التي راحت تتنافس على إطلاق زعيق أبواقها... أما المطاعم فكانت مكتظّة بالروّاد، شأنها شأن عُلب الليل... عجبت لهذه الحيويّة وهذا المرح الدائم وسط حرب من أجل البقاء...

١- وصلت الطوافة «ياسور» عند الساعة العاشرة مساء الى قبالة شواطىء جونيه، وهبطت على أرض مطار الطوافات قرب محطة توليد الكهرباء وشركة ليكويغاز في الذوق.

في صباح اليوم التالي قمت بزيارة مركز قيادة القوات المسيحية اللبنانية في القطاع الشمالي من مرفأ بيروت (المجلس الحربي الكتائبي)... ثمّ انتقلنا الى عدد من مراكز المراقبة التي تُخوّلنا النظر الى الشطر الغربي من العاصمة. بعد ذلك بلغنا قمم الجبال إثر استراحة قصيرة في ضاحية بيت مري (بيت العذراء مريم). ومن الطابق الثاني في أحد المباني، إكتشفنا المدينة الممتدّة تحت أبصارنا في مشهد شامل، فانبسطت أمامنا كلّ نقاط الإستدلال والأماكن الرئيسية في المنطقة كمطار بيروت والمرفأ. أما من الناحية الجنوبية، فطالعنا مرتفع انتصبت فوقه بناية ضخمة يعلوها مبنى وزارة الدفاع اللبنانية ومقرّ رئاسة الجمهورية.... وسألني بشير: «ماذا تنتظرون منّا في حالة الحرب؟» أجبته:« في مثل هذه الحالة، يجدر بكم أولاً الدفاع عن خطوطكم. إعرفوا أننا لا نستطيع مساعدتكم في حال تقهقرت قواتكم، لذا، عليكم التمسّك بمواقعكم. ثمّ، أترون تلك الهضبة هناك، هضبة وزارة الدفاع؟[1] إنها حيوية جداً، ففي حالة الحرب يجب أن تحتلّوها وتُخضعوها لمراقبتكم... ولن تدخل اسرائيل الى بيروت الغربية... لذا ستكون بيروت الغربية من شأنكم ومن شأن الجيش اللبناني».


شارون: «من بيت مري إكتشفنا المدينة الممتدّة تحت أبصارنا في مشهد شامل»

١- إتّسمت هذه الهضبة المعروفة باليرزة بأهمية كبرى، لان طريق بيروت - دمشق كان يمرّ بأحد سفوحها.



الفريق الذي رافق شارون للقاء بشير

(١)- الجنرال موشى ليفي (٢)-الجنرال أوري ساغي (٣)- الجنرال أفنير أزولاي من الموساد (٤)- الجنرال مناحيم نافوت من الموساد (٥)- الجنرال أبراهام تامير (أبراشا) (٦)- الجنرال أمنون شاحاك (٧)- الجنرال عاموس يارون

يكمل شارون: «وصلنا في مرحلتنا التالية الى جبل صنين الذي شهد معارك بين المسيحيين والسوريين... كنّا نتبيّن «الغرفة الفرنسية»، ذلك الحصن المنيع الذي استولى عليه السوريون خلال العملية[١] التي أسقطنا خلالها مروحيتين لهم...

بعد نهار طويل أمضيناه في الجبال، عدنا الى مسكن بشير في منطقة الأشرفية من بيروت... كان ربّ العائلة بيار الجميل هناك بالإضافة الى كميل شمعون. وبعد تقديم القهوة، بدأنا مناقشة مختلف المشاكل. استهلّها بيار الجميل الذي تكلّم باللغة الفرنسية فتحدّث هو وشمعون عن خوفهما الشديد من أن يستمرّ السوريون في نهش المنطقة المسيحية. كما تطرّقنا الى الانتخابات الرئاسية التي ستجري في أيلول... لكن أكثر ما كان يستحوذ على اهتمامهما هو معرفة ما اذا كانت اسرائيل ستدخل يومًا الى لبنان... فأوضحت لهما أنه إذا ما وجدنا ضرورة للدخول الى لبنان، فلن يكون ذلك إلاّ في سبيل الدفاع عن حدودنا الشمالية... ومثل هذا الاحتمال يرتبط إرتباطًا وثيقًا بالسلام أو باتفاقية سلام بين لبنان واسرائيل. هنا تدخّل كميل شمعون ليقول إنه لا يعتقد أن أي حكومة لبنانية تستطيع توقيع معاهدة سلام مع اسرائيل، أو ترغب في ذلك... وبدا شمعون الأكثر تحفّظًا حول هذه المسألة...».

طلب شارون من الحاضرين توثيق الروابط بين المسيحيين والشيعة والدروز، واقترح إعطاء قسم من الأسلحة التي منحتها اسرائيل، ولو كبادرة رمزية، الى الشيعة الذين يعانون هم أيضًا من مشاكل خطيرة مع منظمة التحرير الفلسطينية[٢].

... تفاجأ مندي وفيليب وماريون، أعضاء الموساد، إذ أن شارون لم يكن قد أفصح اطلاقًا حتى في اسرائيل عن نواياه ، حتى ان مجلس الوزراء الاسرائيلي لم يكن على بيّنة من الأمر بمقدار ما كانت عليه القوات اللبنانية...

وقال يهوشع ساغيّ مدير الاستخبارات العسكرية : «هذه عملية كبرى... وكلّ تسريب لأي معلومة من طرفكم سيكون له أثر عاطل جداً. إذا حدث ذلك فبإمكانكم أن تعتبروا أن شيئًا لم يحصل بيننا، وسيرفض الأميركيون هذا المشروع».

١- معارك تلال صنين والغرفة الفرنسية بتفاصيلها في كتاب «معارك سوريا في لبنان - حرب الرهانات الجديدة» (الجزء الثاني)

٢- كان سكان الجنوب الشيعة الأكثر تضررًا من نشاط منظّمة التحرير التي كانت تقصف اسرائيل فيتلّقى السكان تبعات الإنتقام الإسرائيلي.



شارون لبشير: «ألستم في حالة حرب؟»

بشير: «الحرب شيء والأعمال شيء آخر»

أما جوزيف أبو خليل الذي كان يرافق بشير في اللقاء فيقول: «قَدِمَ الوزير الإسرائيلي مصحوباً بأركان حربه من عسكريين ومدنيين ليُبلغنا قرار حكومته بتوجيه ضربة عسكرية إلى منظمة التحرير الفلسطينية لا تقوم لها بعدها قائمة... وعلى رغم ما في الخبر من إغراء، فقد رأى الشيخ بشير أنَّ في الأمر من الخطورة ما يقضي بالوقوف على رأي الشيخ بيار الجميل والرئيس كميل شمعون... وللفور تمّ جمع الوفد الإسرائيلي بالرئيس شمعون والشيخ بيار حيث كرّر شارون، أمامهما، طرحه المذهل، وكان صريحاً إلى أبعد الحدود... قائلاً: «يجب أن تكونوا على علم مسبق بما ستخلّفه العملية من دمار قد لا نتمكّن من اتّقائه نظراً لتغلغل المنظمات الفلسطينية في المناطق السكنية وتمركزها في المدن والقرى والأحياء الآهلة، وهي، بالتأكيد، ستحتمي بالأبنية والمؤسسات المدنية...» وأضاف: «العملية يجب أن تنجح، متى انطلقت، وفي سبيل إنجاحها لن نوفّر وسيلة».



كان شارون يتكلّم بالإنكليزية، فيما الشيخ بشير يتولّى الترجمة لوالده، ولكن على النحو الذي يخفّف من قسوة الصورة التي حرص الوزير الإسرائيلي على تقديمها كاملة وفجّة، كأنّ بشير كان يخشى من الشيخ بيار تحفّظًا أو اعتراضًا من شأنه إثارة الشكوك لدى الإسرائيليين والتقليل من عزمهم. وعلى الرغم من هذه الترجمة المنقوصة، ظلّت الصورة، في نظر الوالد، رهيبة، وقد انعكست على وجهه تحفّظًا وامتعاضًا ظاهرين، حتى إذا إنتهى شارون من عرضه إنتحى في بشير جانبًا ليقول له بصوت منخفض: «هل ترى كم هي أحوال لبنان تعيسة ومستحيلة... ومع ذلك ما زلت أفضّلها ألف مرّة على الأحوال التي قد تنجم عن العملية المطروحة!»

طبعًا، لا بشير، ولا أحد من الحاضرين كان من رأي الشيخ بيار، فالتخلّص من الوجود الفلسطيني المسلّح كان حتى تلك اللحظة، حلمًا. وقد جاء من يجعل من الحلم أمرًا واقعًا في خلال أيام قليلة، فمَن يَقوى على مقاومة هذا الإغراء؟!

وكان الوزير شارون قد حرص على التوضيح «أن لا تاريخ محدّدًا للبدء بالعملية... فقد تبدأ خلال أيام كما قد لا تبدأ قبل أسابيع، وربما أشهر. فالأمر متوقّف على اكتمال الظروف الملائمة، وعلى توافر العوامل اللازمة لإطلاقها، ومنها الحجّة أو الذريعة التي تبرّر الردّ بمثل هذه العملية الواسعة...»[١]

عاد شارون حوالي الساعة الثامنة الى مهبط المروحيات في الذوق حيث حطّت الطوافة CH-53 لنقل ركابها العشرة الى اسرائيل. وعند وصوله الى تلّ ابيب قال شارون لرفاييل إيتان:

١- قصة الموارنة في الحرب، جوزيف ابو خليل.

«لقد رتّبت اللمسات الأخيرة للمخطَّط. بإمكاننا تنفيذه. لقد كبّلت أيديهم باقتراحي عليهم الاستيلاء على السلطة...».

أما يهوشع ساغي فحذّر مناحيم بيغن من الوصول الى بيروت قائلاً: «سنكون مُحرجين .. إن كلّ احتلال لعاصمة عربية سيخلق المشاكل مع العرب ومع الأميركيين».

ولمّا وصل شارون الى منزله في ساعة متأخرة، كانت زوجته ليلي في انتظاره. وعندما سألته كيف وجدت اللبنانيين؟ أجابها: «أناس يقبّلون الأيادي ويقتلون في نفس الوقت».



أضواء جونيه بهرت آرييل شارون



بشير أراد الوقوف على رأي والده والرئيس شمعون لأن اقتراح شارون خطير

خطّة الإجتياح ومصير الجيش السوري

«تفويض على بياض لشارون»

منذ اليوم الأول من العام ١٩٨٢، بدأت تصريحات المسؤولين الاسرائيلين تهدّد بعمل عسكري كبير ضدّ منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان. ففي ٦ كانون الثاني، دعا اسحق رابين في وثيقة قدّمها للحكومة الى توغّل الجيش الاسرائيلي في العمق اللبناني للقضاء على الوجود الفلسطيني في الجنوب.

ونشرت صحيفة هآرتس في ١٤ -١ -١٩٨٢ في صفحتها الأولى، خبر طلب وزير الدفاع الإسرائيلي آرييل شارون من حكومته تفويضاً على بياض للتدخّل العسكري في جنوب لبنان، وأيّد طلبه رئيس الحكومة بيغن، وسط اعتراض وزير الداخلية سمحا أرليخ.

في ١٩ -١-١٩٨٢، حلّقت أربع طائرات إسرائيلية فوق لبنان ووصلت الى البقاع، فأطلقت الدفاعات السورية صاروخَي سام ٦ إنفجرا في الجو. وترافق تحليق الطيران الاسرائيلي مع دوريات بحرية قبالة الشاطىء اللبناني ومناورات غير اعتيادية في القطاع الشرقي جنوب لبنان.

في ١١ شباط، إعتبرت صحيفة «هآرتس» أن أيّ هجوم اسرائيلي على الفلسطينيين في لبنان هو بمثابة لعب «بالروليت الروسية»...



بشير أوكل فادي افرام الأمور العسكريّة



بيغن طرح على بشير تشكيل قوّة مشتركة لإخراج السوريين

وفي السادس عشر منه، ردّ بشير الزيارة لشارون، فسافر الى اسرائيل يرافقه فادي افرام وزاهي البستاني... أعرب بشير لشارون ومساعديه بوضوح عن مخاوفه إزاء العملية العسكرية التي لم تكن واضحة، مبديًا تخوّفه ألاّ يصل الجيش الاسرائيلي الى بيروت لسبب ما. هذه النقطة كانت الأهمّ بالنسبة لبشير...

سأل افرام، الذي كان معنيّاً بالشقّ العسكري، المسؤولين الإسرائيليين: «هل ستهاجمون السوريين» فأجاب رئيس الأركان الاسرائيلي رفاييل ايتان: «لا، إلاّ إذا حاول هؤلاء أن يتدخّلوا... إن العملية العسكرية أصبحت حتميّة وستكون سريعة... ونعتقد اننا سنصل الى صيدا بفترة ممتدّة ما بين ١٢ و ١٥ ساعة ومن ثمَّ الإنطلاق باتجاه طريق بيروت - دمشق...».

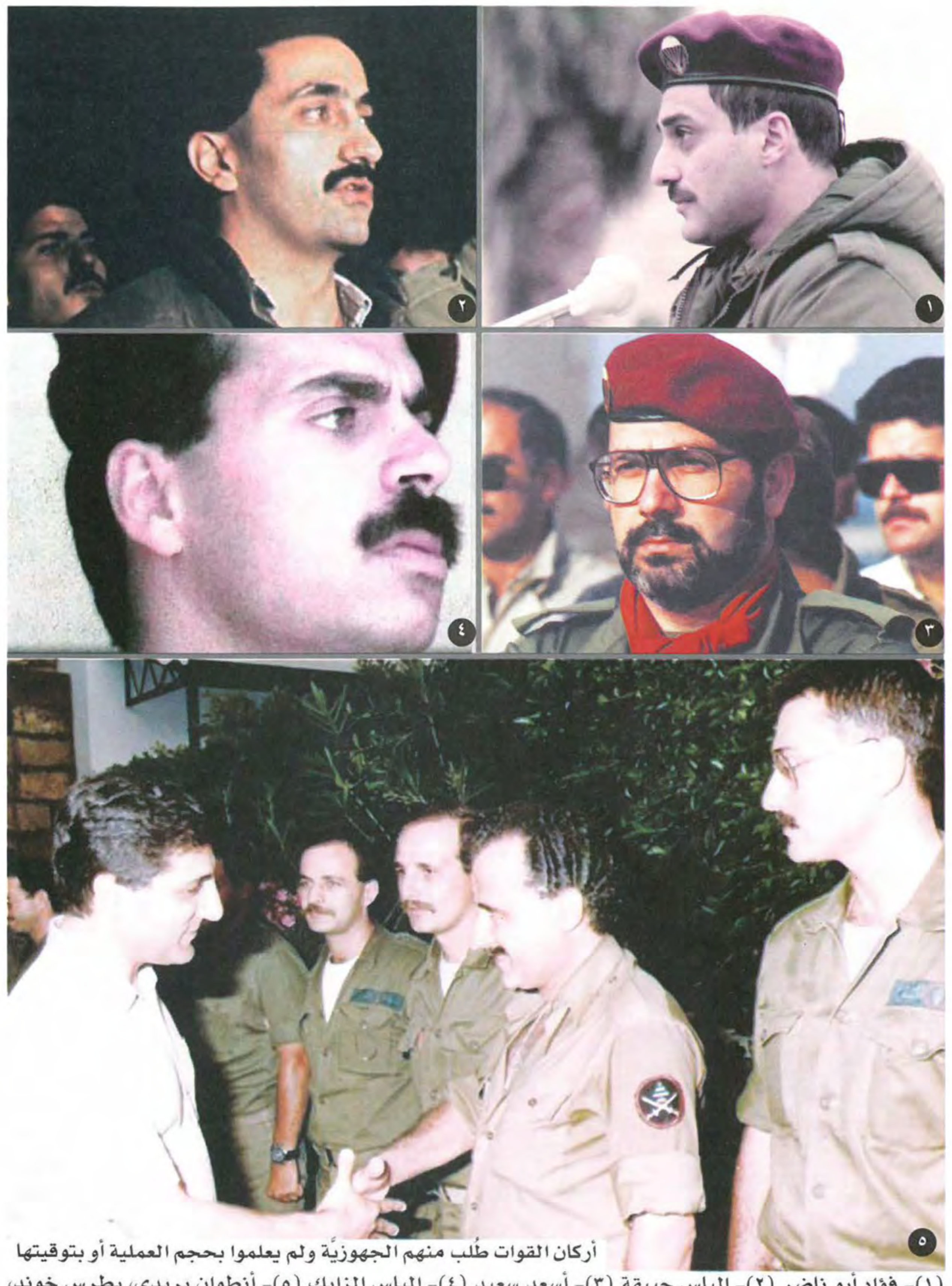
وفي اليوم التالي، ذهب بشير والوفد المرافق الى القدس - شارع بلفور - ودخلوا الى مكان إقامة بيغن من مدخل جانبي تحاشيًا لرؤية الصحافيين المتواجدين بإستمرار أمام الباب الرئيسي. في الطابق الأول، كان بانتظارهم بيغن ونحو إثني عشر رجلاً بين عسكريين ومدنيين. وبعد تبادل التحيّة توجّه بيغن الى بشير بالقول:

«أريد ان أراك، منتخبًا دستوريًا رئيسًا للجمهورية، يعاونك رئيس سنّي وحكومة اتحاد وطني. وانا وشيمون بيريز متفقّان حول المسألة اللبنانية، وعندما ندخل الى لبنان لن يعارض أحد في اسرائيل، وأريد أن أطلب تشكيل قوّة مشتركة لإخراج السوريين».

حاول بشير إستيضاح مناحيم بيغن عن حجم وماهية العملية التي تنوي اسرائيل تنفيذها، فلخَّص بيغن له شروط اسرائيل للتدّخل العسكري في لبنان قائلاً: «إذا واصل الإرهابيون هجماتهم واعتداءاتهم، وإذا فهم العالم بأسره كالولايات المتحدة وأوروبا والعالم الثالث أن الستاتيكو السائد لم يعد مقبولاً أو لم يعد له وجود، عندئذ سنتقدّم شمالاً الى أقصى مسافة ممكنة».

لم يتمكّن بشير من تلّمس ما ستقوم به اسرائيل أو تشخيص العملية المزمعة بدقّة، ولم يحصل على معلومات تفصيلية من المسؤولين في تلّ ابيب، ما أثار ارتباك القوات... فتوجّه مناحيم نافوت الى طبرجا شارحًا للبنانيين أن تلّ ابيب تراقب عن كثب تطوّر القدرة العسكرية السورية، مؤكّدًا أن اسرائيل ستُدمّر جميع قواعد المدفعية السورية التي ستطلق النار... وتقرّر تحطيم القدرات العسكرية والسياسية للفلسطينيين، وأن يكون جنوب لبنان والشاطىء الممتدّ الى بيروت معنيين بالعملية، مؤكّدًا بأنّ الفلسطينيين الموجودين في مخيمين قرب طرابلس غير مهدّدين كونهما لا يشكّلان أي خطر على الدولة العبرية. من جهتها حاولت قيادة القوات اقناع نافوت بأهمية «الشمال المسيحي»، فكان جواب مسؤول الموساد في لبنان: «اذا هاجمتم الشمال، هذا الامر لا يعنينا، ولكننا نلتزم الدفاع عنكم في حال تمّت مهاجمتكم»، مؤكّدًا مجدّدًا موقف اسرائيل: «القرار لا رجوع عنه. العملية حاصلة حتماً». ثمّ سأل اذا كان من الممكن استعمال مرفأ جونيه لإنزال الرجال والعتاد. فأجابه بشير: «هذا من شأنه أن يضفي النور على تعاوننا، وفي هذه الحال قد يصبح مستحيلاً الإفادة من العامل السياسي».

تمّ وضع بعض مسؤولي الأركان في القوات اللبنانية في أجواء التحضير لعملية عسكرية إسرائيلية واسعة قبل نحو ستة أشهر، وهم إضافةً الى رئيس الأركان فادي فرام، رئيس جهاز الأمن الياس حبيقة، المفتش العام للأركان أنطوان بريدي، قائد العمليات فؤاد أبو ناضر، بطرس خوند، أسعد سعيد، الياس الزايك وإيلي وازن (عباس). وعلى الرغم من الطلب من قادة الوحدات المركزية في القوات اللبنانية الجهوزية التامّة، إلاَّ أنَّ معظم هؤلاء المسؤولين لم يكن على علم بحجم العمليَّة أو توقيتها أو أي تفصيل عنها.



أركان القوات طُلب منهم الجهوزيَّة ولم يعلموا بحجم العملية أو بتوقيتها

(١)- فؤاد أبو ناضر (٢)- الياس حبيقة (٣)- أسعد سعيد (٤)- الياس الزايك (٥)- أنطوان بريدي، بطرس خوند، إيلي وازن (عباس)، كيروز بركات

أرينز وساغي الى واشنطن
وإيتان الى لبنان

في شباط ١٩٨٢، أرسل بيغن رئيس الموساد يهوشع ساغي للقاء وزير الخارجية الاميركية ألكسندر هيغ، بهدف إقناعه بأن إسرائيل لن تستطيع الصمود والصبر أكثر من ذلك أمام التحرّشات الفلسطينية المتتالية، فيما زار قائد الأركان رفاييل ايتان المنطقة الشرقية لبيروت للقاء بشير الجميل، وقد شاهد إيتان مع أبرز ضباطه الذين كانوا برفقته مناورة عسكرية كانت تُقيمها الوحدات المركزية في القوات اللبنانية في ثكنة أدونيس، والتي تخلّلها قتال الملالات والقيام بمناورات لقوّات النخبة واقتحام مواقع ومهاجمة أهداف محدّدة والنزول والصعود على الحبال... والتي انتهت بنجاح باستثناء حادث بسيط وهو كسر قدم أحد المقاتلين الذي سقط أثناء



إيتان طلب تدخّل القوّات اللبنانية وبشير رفض بشكل قاطع

نزوله على الحبال... أبدى إيتان لبشير إعجابه بحِرَفيّة وشجاعة وكفاءة المقاتلين اللبنانيين، آملاً ان يتمّ الاعتماد عليهم في عمل مشترك مع جيشه في حال حصول أي تطورات ميدانية في لبنان... لكن بشير لاذ بالصمت ولم يُبد أي ردّة فعل... وعندما أصرّ إيتان على الحصول على جواب، عارض بشير تدخّل قوّاته بشكل مباشر في أي عملية اسرائيلية، لأنّ ذلك يؤثر سلباً على النتائج السياسية، كما مانع، وللسبب نفسه، إنزال جيش اسرائيلي في ميناء جونيه للمشاركة في أي هجوم على الفلسطينيين.

على خطّ آخر، أوفد مناحيم بيغن رئيس لجنة الخارجيَة والأمن موشى أرينز، إلى واشنطن ليتسلّم مهام سفير إسرائيل هناك. وفور وصوله، أعلن أنه يجب إزالة الخطر الفلسطيني من الشمال، لذلك فإن الحرب في لبنان متوقّعة!

على الأثر، إجتمعت الحكومة الاسرائيلية واستمعت الى تقارير ساغي من واشنطن وإيتان من لبنان، وتوصّلت إلى أنّه لا مفرّ من عملية للقضاء على الفلسطينيين على أن تكون أوسع من عملية الليطاني (١٩٧٨) ودون الدخول إلى بيروت، إلا أن شارون قال: «إن عملية واسعة كهذه تتطلّب الوصول إلى بيروت لأن ذلك سيساعد اللبنانيين على التخلّص من الإرهاب في بلادهم».



موشى أرينز سفيراً لإسرائيل في واشنطن



بشير إصطحب إيتان لحضور مناورة القوات المركزية في أدونيس

الفلسطينيون... فوق الأرض وتحتها

تلقّت الحكومة الاسرائيلية تقارير على جانب كبير من الأهمية والدقّة أثارت قلقها، وقد تحقّق جهاز الموساد من المعلومات التي كان يحصل عليها من بيروت، ولو أن بعضها كان يصل بشكل مضخّم، ولكن بذكاء كي يكون قابلاً للتصديق ومنسجماً مع الوقائع على الارض.

رفعت أجهزة الاستخبارات الاسرائيلية، بالتنسيق مع قيادة أركان الجيش، تقريراً الى الحكومة يُفيد بأنّ منظّمة التحرير الفلسطينية شكّلت في لبنان «دولة داخل دولة» بكلّ معنى الكلمة، وأنشأت هيئات حكومية كثيرة: من محاكم وشرطة واصلاحيّات ونظام مالي ونظام المساعدة الاجتماعية والإدارة والجيش وميليشيا الاحتياط، كلّ هذا في غياب حكومة مركزية فعلية في بيروت. وبسبب الفوضى التي سادت جنوب لبنان، سيطرت هذه المنظمة على هذه المنطقة وقامت بجباية الضرائب، وتولّت ادارة الأعمال وفرضت رسوم عبور على الطرقات، وأخضعت كافة ميادين العمل في مناطق



عرفات وصلاح خلف يجولان على أحد مخيمات التدريب

سيطرتها لمراقبتها، مستميلة السكّان عبر العلاقات التجارية والتهويل والترهيب. كما أنشأت منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان مركزًا عالميًا للمنظمات الثورية كان يأوي ويعدّ ويُدرّب ويحمي الحركات التابعة لافريقيا وأميركا الوسطى، من شبه الجزيرة الهندية حتى آسيا الصغرى، فضلاً عن مجموعة «بادر ماينهوف» و«الألوية الحمر» في الجيش الإيرلندي السري و«الجيش الأحمر الياباني»...

قبل عملية «سلامة الجليل»، كانت دولة منظمة التحرير الفلسطينية تعمل لتحويل وحداتها الى جيش نظامي، يتألّف من دبابات ومدفعيّة وشبكات ارتباط. وبَنَتْ تحت المنازل في مدن اللاجئين ومخيماتهم ملاجئ وأنفاقًا تربط بين مختلف القطاعات. وخلال سنوات الحرب شهدت هذه الشبكات تطوّرًا ملحوظًا، حتى كادت أن تؤلّف تحت الأرض مدنًا حقيقيّة. أمّا في الشواطئ الصخرية وعلى قمم الجبال، فقد حفرت تحصينات وأعدّت ترسانات أسلحة هائلة ومستودعات وتجهيزات. ووفّرت جبال لبنان الصخرية التي تندر فيها الدروب، ومزروعات السهل الكثيفة، المركز الأمثل لقيام حرب دفاعية، إذ باستطاعة جيش تمّ تدريبه على أكمل وجه أن يجعل اسرائيل تدفع غاليًا ثمن أدنى محاولة اجتياح. كما تستطيع الصواريخ والمدفعيّة البعيدة المدى شلّ دورة الحياة في شمال اسرائيل... كانت منظمة التحرير الفلسطينية على قاب قوسين أو أدنى من تحقيق أهدافها عندما غيّرت عمليّة «سلامة الجليل» الوضع[١].



أبو إياد وأبو جهاد وعرفات: منظمة التحرير أصبحت أقوى من الدولة اللبنانية

١- ديبلوماسيّة إسرائيل السريّة في لبنان (١٩٤٨-١٩٨٤)، كيرستين شولتزه.

الفلسطينيون يصنّعون السلاح والذخائر

منذ انطلاقة الثورة الفلسطينية، كان أسلوب القتال السائد بين القوات الفلسطينية هو قتال المجموعات الصغيرة التي تضرب الأهداف العسكرية للعدو وتهرب بسرعة، وتمّ تدريب المقاتلين على حرب العصابات، وحرب الشوارع، ولم يعتمد الفلسطينيون يومًا في تدريبهم على حرب المواقع. وقد بدأ قتالهم بأسلحة فردية خفيفة، ثمّ تطورت الإمكانيات العسكرية، وأرسل العديد من المقاتلين لمتابعة دورات عسكرية في الخارج والتدرّب على كافة أنواع الأسلحة وعلى أساليب قتال وحرب العصابات، وأصبح أهمّ سلاح لدى الفلسطينيين حتى العام ١٩٧٥، هو الكلاشنكوف والار.بي.جي والمدفع المضاد للدروع ٧٥ ملم، و١٠٦ملم.

إضافةً الى العتاد الشخصي «التقليدي» كالكلاشنكوف والآر. بي. جي، كانت منظمة التحرير الفلسطينية تمتلك مدافع ثقيلة وصواريخ أرض - جو من طراز (سام ٧)، وأعدادًا كبيرة من المدافع الثقيلة والهاوين وراجمات الصواريخ ودبابات سوفياتية من طراز (ت - ٣٤) يعود تاريخ صنعها إلى



مخيّم تدريب للفلسطينيين في جنوب لبنان

الحرب العالمية الثانية. وكانت البلدان الاشتراكية مصدر الأسلحة الفلسطينية، إلا أن الفلسطينيين ساهموا في تدعيم عتادهم الحربي من خلال مصانع منظمة التحرير الفلسطينية الحربية التي كانت تنتج أنواعًا خاصة من الأسلحة مثل ألـ «آر.بي.جي» والبنادق والذخيرة والألغام.

وعملت منظمة التحرير أيضاً على إنشاء مدارس حربية في بيروت، وكذلك مراكز للتدريب على العمليات الحربية. وكان للمنظمة مراكز للإتصال ومحطة للبث الإذاعي ومطابع.

ومنذ انطلاقة الثورة الفلسطينية، تمَّ تشكيل فريق بحث علمي لتطوير الأسلحة وصيانتها وتشغيلها. لذا تشكَّل ما بات يُعرف «باللجنة العلمية»، وتركّز جهدها على تصنيع واستخدام المتفجرات والعبوات الموقوتة وأجهزة التوقيت الميكانيكية والكيماوية والالكترونية وغيرها من المواد التي استعملها الفلسطينيون...

كما تمّ الحصول على المضادات الجوية من مدفع الـ٣٧ الى «الشيلكا» الذي كان يُشكّل أحدث سلاح مضاد للطائرات في حوزة الفلسطينيين، وقامت اللجنة العلمية الفلسطينية بإنتاج قاذف الآر.بي.جي المعدّل، وأصبح بذلك الفلسطينيون أوّل من أجرى تعديلاً على إنتاج هذا القاذف، ونجحوا بالفعل في إنتاج قاذفات «آر.بي.جي» المضادة للدروع وبعض قاذفات الصواريخ الخفيفة الأخرى.



ترسانة الفلسطينيين ضمّت مئات المدافع من مختلف الأعيرة

كما قامت اللجنة بتطوير أنواع من القنابل اليدوية، وقدّمت نموذجين أحدهما يشبه القنبلة اليدوية (ميلز ٣٦) والآخر القنبلة اليدوية (ف ١)، بالإضافة إلى نموذج خاص من هذه القنابل يتلاءم وتسليح الفلسطينيين...

ونجحت أيضًا في صناعة قذيفة «الانيرغا» من النوعين المضاد للأفراد والمضاد للدبابات. وبعد نهاية حرب السنتين (١٩٧٥ - ١٩٧٦) تطوّرت أعمالها، فعملت على إنتاج مدافع وقذائف الهاون وراجمات الصواريخ وناقلات الجنود المصفّحة والمتفجّرات وأجهزة الاتصال.

أما عن القوات وعديدها وتسليحها، فكتبت الصحفية البريطانية مايكل جانس في كتابها «لماذا غزت إسرائيل لبنان»: «تقول معلومات الاسرائيليين بحسب جريدة الجروزالم بوست في السابع من حزيران ١٩٨٢، بأنّ عدد قوات منظمة التحرير الفلسطينية في جنوب لبنان يبلغ ٦ آلاف رجل مسلح، أي حوالي نصف مُجمل قوّة منظّمة التحرير الفلسطينية في لبنان. وتؤكّد المصادر العسكرية الإسرائيلية أنّ تجمّعات المقاتلين الفلسطينيين هي كناية عن شريط من المواقع المحصّنة جداً يضمّ كلّ منها قوّة تتكوّن من ٢٠-٣٠ رجلاً، بينما قلّة قليلة من المقاتلين تتواجد في القرى.



فرقة من قوات الـ ١٧ تضع أقنعة مضادة للأسلحة الكيماوية

ووفقاً للمعلومات كان هناك من ٥٠٠ الى ٧٠٠ مقاتل فلسطيني في المنطقة التي تسيطر عليها قوات الأمم المتحدة، وفي العرقوب «فتح لاند» ١٥٠٠ رجل وحول النبطية ١٠٠٠ رجل. أما في ما يتعلّق بالمعدات العسكرية، فقدّرت المصادر العسكرية الإسرائيلية أن منظمة التحرير الفلسطينية تملك ٣٥ مدرعة سوڤياتية من طراز (تي ٣٤) من مخلّفات الحرب العالمية الثانية، وعدداً كبيراً من قطع المدفعية بما في ذلك مدافع عيار ١٣٠ ملم، ومدافع مورتر عيار ١٦٠ ملم، وقاذفات صواريخ كاتيوشا ومدافع مضادة للطائرات وصواريخ (سام ٧) أرض جو ...».

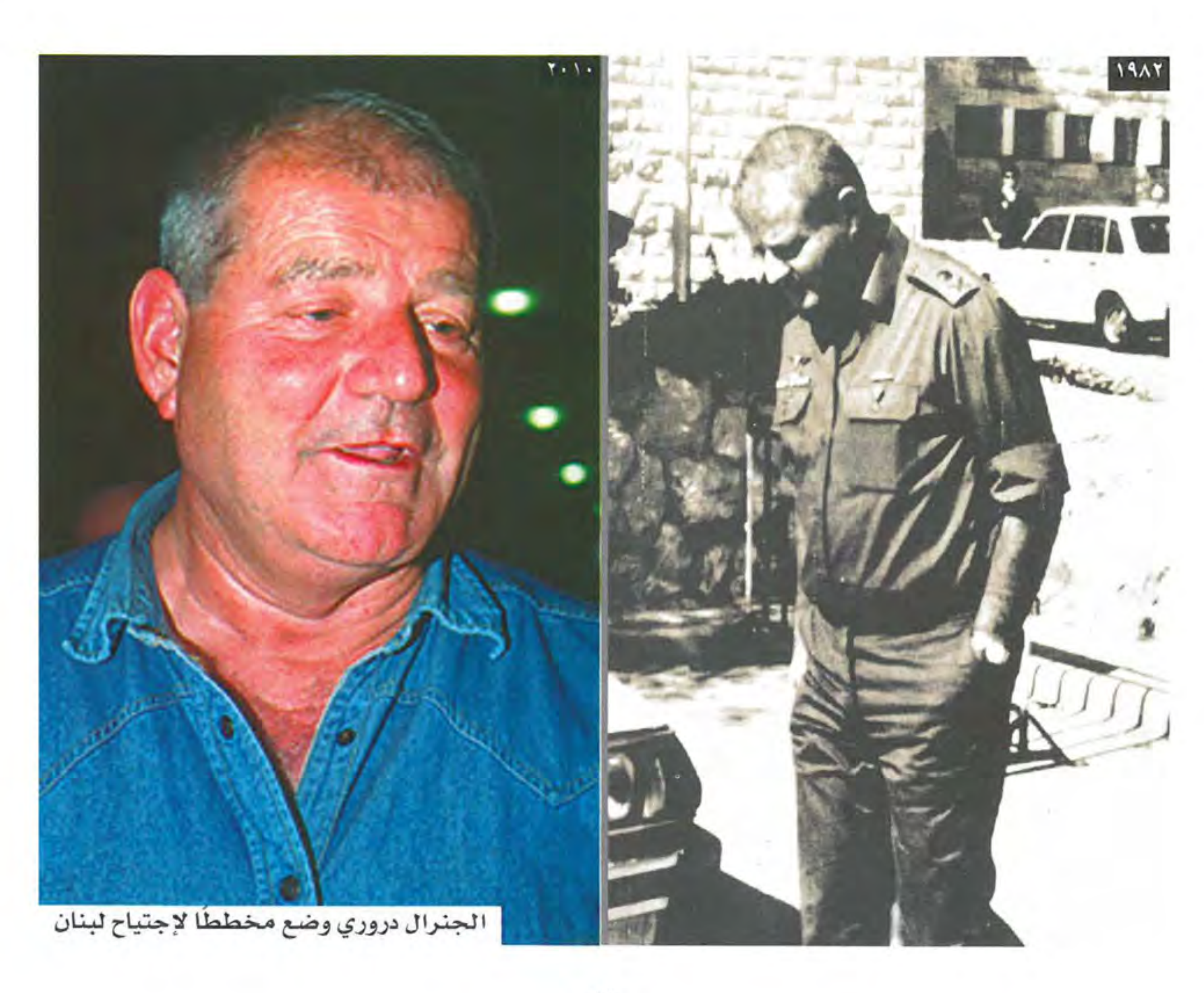
في موازاة التحضيرات والاستعدادات الفلسطينية، كانت إسرائيل ومنذ أن شكّل مناحيم بيغن حكومة الليكود الثانية بتاريخ ١٩٨١/٨/٥، قد بدأت بتصعيد الهجمات البريّة والجويّة ضدّ منظمة التحرير الفلسطينية وقواتها، وبدأ الاستعداد العسكري الإسرائيلي يأخذ بعداً استراتيجياً بالتنسيق الكامل مع الولايات المتحدة الأمريكية، خصوصاً بعد اغتيال الرئيس المصري أنور السادات، إذ تعزّزت وجهات النظر بين وزير الدفاع الإسرائيلي آرييل شارون ورئيس أركان الجيش الإسرائيلي رفاييل إيتان لضرورة توجيه ضربة عسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية، فوجّها أمراً إلى القائد



مقاتل فلسطيني يحمل سلاحه المجهز بقذيفة بازوكا تحت نظر القوات الدولية

الجديد للجبهة الشمالية الجنرال أمير دروري بإعداد مخطط لغزو لبنان وسحق قوات منظمة التحرير الفلسطينية حسب قول شارون، فوضع الجنرال دروري في الأسبوع الأوّل من كانون الأوّل ١٩٨١، مخطّطًا لعملية عسكرية إسرائيلية يتمّ بموجبها اجتياح الأراضي اللبنانية.

ومن جهة أخرى، كان رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن يعمل على تصعيد الموقف مع سورية، وتوَّج ذلك الهدف يوم ١٩٨١/١١/٢٩ بعقد جلسة لحكومته في المستشفى حيث كان يعالج من رضوض بسبب سقوطه في حوض الاستحمام، طالبًا من وزرائه المصادقة على ضم الجولان. وفي اليوم نفسه قدَّم النص إلى الكنيست، فتمّت الموافقة عليه بالأكثرية.



الجنرال دروري وضع مخططًا لإجتياح لبنان

الجاسوسة الفرنسيَّة والتقرير الخطير

تبلّغ قادة منظمة التحرير الفلسطينية القرار الإسرائيلي عبر تقرير من صحافية فرنسية دخلت إلى إسرائيل كجاسوسة للمنظَّمة. ويروي محمود الناطور (أبو الطيب) في كتاب زلزال بيروت: «كان لثورتنا أصدقاء على امتداد العالم كلّه، من بين هؤلاء كانت صحفية فرنسية تَجمع كافة المعلومات المتعلّقة بأوضاع العدوّ العسكريّة حتى في اللغة العبرية. وذات يوم، حضرت وقالت أنها تودّ الذهاب إلى إسرائيل، وستقوم بجولة في الضفة الغربيّة وقطاع غَزة والجولان. وبعد جلسة مطوَّلة مع العميد سعد صايل (أبو الوليد)، تمّ تزويدها بالتوجيهات ثمّ سافرت إلى الأرض المحتلّة، ومكثت هناك حوالي شهر. وبعد عودتها إلى باريس، أرسلت برقية تُبلغني بحضورها إلى بيروت، وعندما التقيتها كان القلق باديًا على وجهها، وتوقّعتُ أن أمرها قد اكتُشف، لكن بعد حديثي معها عرفتُ ما هو أخطر من ذلك، لقد جاءت بتقرير يقول «إن إسرائيل ستقوم بعملية عسكرية أكبر حجمًا من عملية ١٩٧٨ وصولاً إلى بيروت، وكانت متأكدة من معلوماتها، سألتها: حتى الوصول إلى بيروت؟ قالت: «نعم، حتى بيروت».

طلبت منها كتابة تقرير بكلّ ما لديها من معلومات، وفعلاً مكثت حوالي ست ساعات حيث أفرغت كل المعلومات التي لديها، ونظرًا لانشغال الأخ أبو عمار أخبرته ليلاً بمحتوياته، فقال إنَّ هذا الكلام يؤكد قدوم المعركة.



عرفات يعاين قاذفة «ار بي جي - كوماندو» صناعة فلسطينية

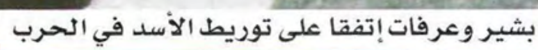
بعد ذلك، قدّمت التقرير إلى العميد أبو الوليد، وبعد قراءته، طلب مقابلة الفتاة، فاستدعيناها واجتمع إليها حيث شرحت له الكثير من التفاصيل، وقدّمت له مجموعة من الصور الهامّة من داخل المستوطنات الإسرائيلية في شمال فلسطين».

بعد تقرير الصحافية الفرنسية، ولتوحيد القوى الفلسطينية، قدَّم المسؤول العسكري للجبهة الديمقراطية «ممدوح نوفل» تقريراً لعرفات طلب فيه العمل على شبكة اتصال واحدة... وافق عرفات وبدأت المنظّمة بشراء أجهزة لاسلكية، وحَفْرِ مخازن للطوارئ وطلب التجنيد الاجباري بين سنّ ١٦-٣٩ سنة، بالإضافة الى تجنيد أولاد من سن الـ ١٢ وعُدوا براتب ٤٠٠ ليرة لبنانية شهرياً.

مجنّدون من عمر ١٢ حتى ١٦ سنة براتب ٤٠٠ ليرة لبنانية



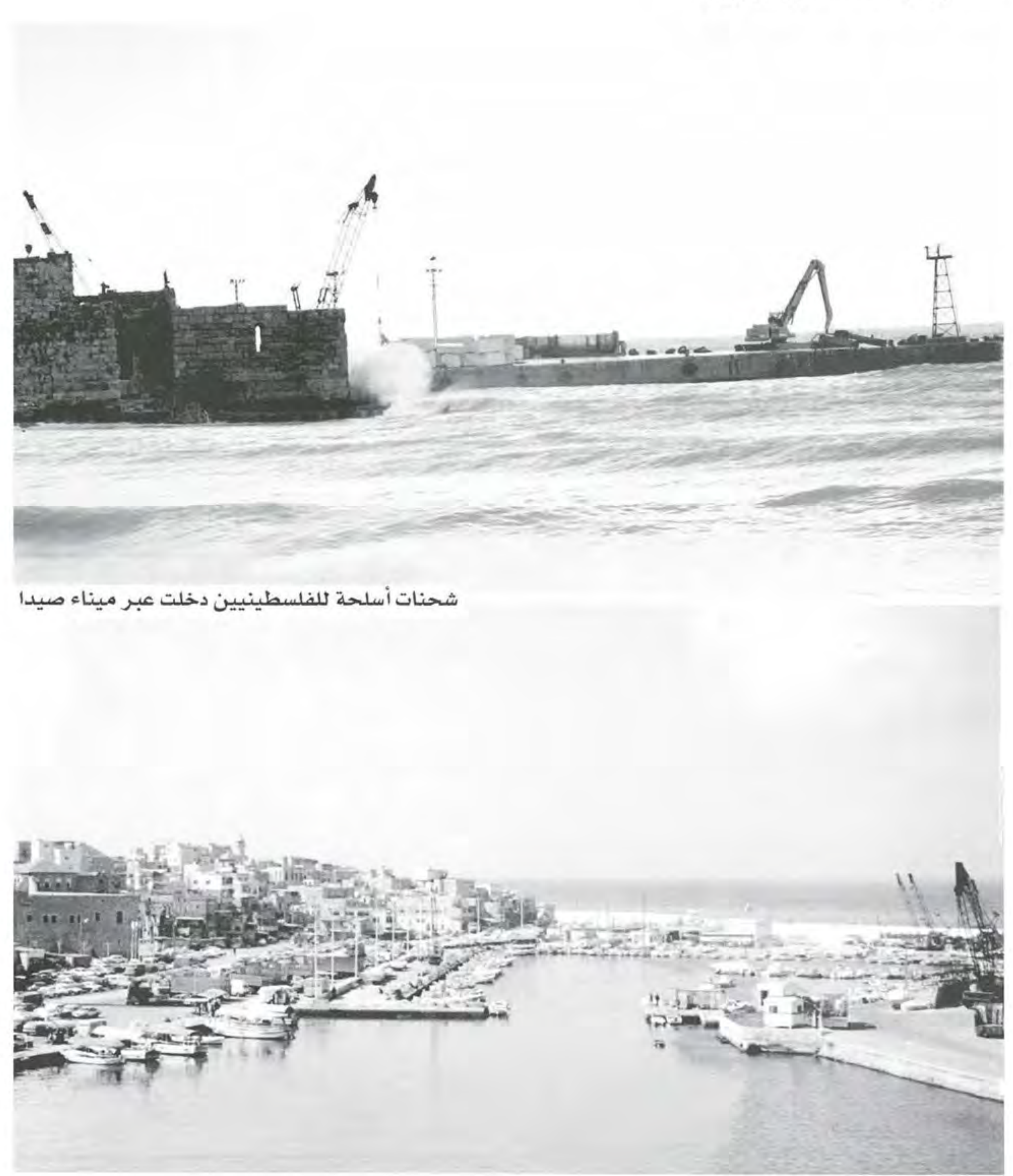
عرفات يتفقّد أنفاقاً إمتدّت تحت المخيمات وربطت القطاعات ببعضها



بشير وعرفات إتفقا على توريط الأسد في الحرب

وقرّرت الهيئة العليا للمنظّمة أيضًا توحيد القيادات برئاسة «فتح»، واستغلّ ميناء صيدا لاستقبال الأسلحة، كما بحثت المنظمة إمكانية تجنيد الفلسطينيين في سورية ولكن دمشق رفضت ذلك.

شعرت القيادة الفلسطينية بجدّية قرار الاجتياح، وأعلم صلاح خلف (أبو جهاد) عرفات بأسرار العملية الإسرائيلية، فأرسل الاخير برقيات إلى رؤساء الدول العربية يُبلغهم أن إسرائيل تخطّط لعملية عسكرية واسعة تصل إلى بيروت.



شحنات أسلحة للفلسطينيين دخلت عبر ميناء صيدا

«توريط سوريا»: هدف بشير وعرفات

اتفق ياسر عرفات مع بشير الجميل على أمر وحيد وهو دخول القوات السورية في مواجهة مع إسرائيل، فبشير كان يريد استدراج السوريين الى الحرب ليتلقّوا ضربة من اسرائيل تُساهم في إضعافهم وإخراجهم من لبنان، وهو قال لمجموعة ضباط إسرائيليين زاروا جونية: «إذا لا توجد عندكم نيّة لضرب السوريين «Don't come» لا تأتوا!» وهكذا أراد بشير أن تكون العملية موجّهة ضدّ الجيش السوري، بينما كان هدف إسرائيل الرئيسي هو تدمير أرضية المنظمة الفلسطينية في لبنان.

أما عرفات، فأراد زجّ السوريين في الحرب لتخفيف الضغط على الفلسطينيين، لأن تورّط سوريا سيؤدّي إلى تدخّل الدول العظمى لإيقاف الحرب قبل أن تحسمها إسرائيل.

إكتشفت دمشق الخطّة الفلسطينية، فحذّرت عرفات من محاولة جرّها إلى الحرب دون تنسيق مسبق، وطلبت مقابل تدخّلها طاعةَ عرفات التامّة. وفي وقت لاحق، إتّهمت سورية المنظّمة بإفشاء أسرار عسكرية للعدو، فيما اتهم ممثل عرفات في القاهرة «أحمد صدقي» سورية وإسرائيل بالاشتراك بمؤامرة للقضاء على المنظمة.



الجيش السوري دعَّم ترسانته بدبابات (T 72) السوفياتية

وتحسّبًا لمواجهة محتملة مع إسرائيل، كانت سوريا قد أعلنت عن رغبتها في الوصول إلى توازن قوى مع إسرائيل، فكان الجيش السوري يقوم بورشة تنظيمية كبيرة، ولجأ الرئيس حافظ الاسد الى إجراء نهضة تدريبية وتأهيلية لجيشه، بعدما أصبح هناك تفاوت كبير مع الجيش الاسرائيلي، إذا اعتبرت سوريا في العام ١٩٨١ أنّ ما يملكه جيشها لا يؤهّلها للحرب الا مع المسيحيين في لبنان وخصوصًا بعد حرب زحلة.

وفي بداية ١٩٨٢، شهد الجيش السوري عمليّة تنظيم واسعة النطاق، شملت زيادة قوات مدرَّعة وتدريبها على دبابات T72 وزيادة قوات كومندو، كما نُظّم الدفاع الجوي وأصبح يعتمد على أكثر من ١٠٠ بطارية صواريخ من أنواع مختلفة.



الدفاع الجوي السوري إعتمد على أكثر من ١٠٠ بطارية صواريخ «سام»

تمهيد و تهديد و تفتيش عن الذريعة

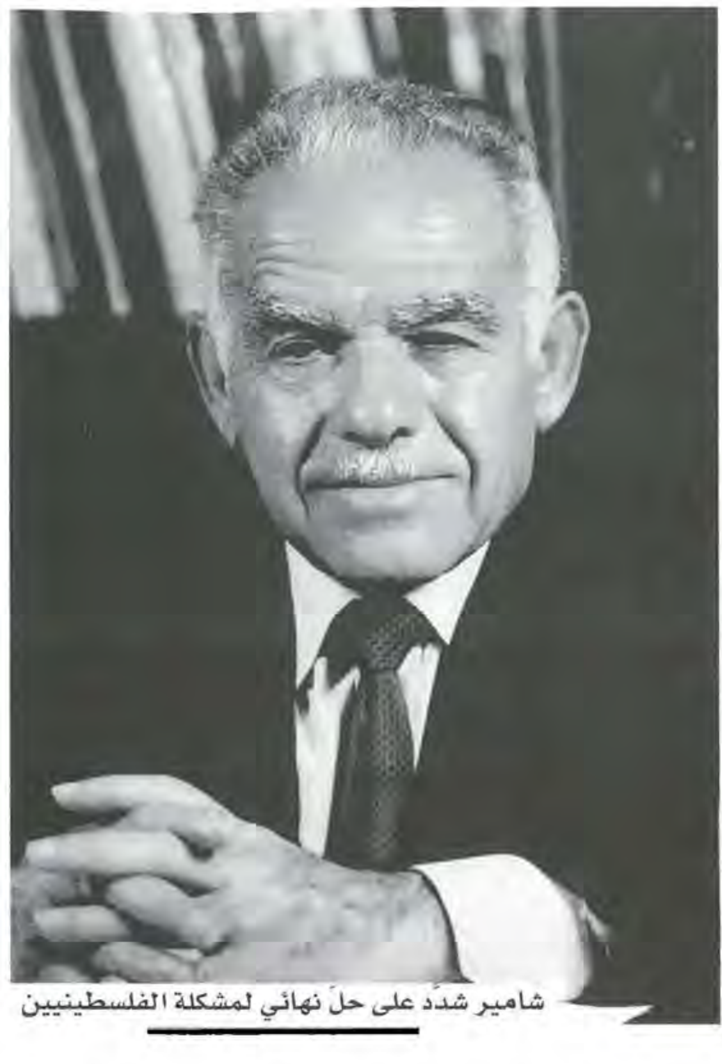
إغتيال ياكوف ليس في الوقت المناسب

مهّد المسؤولون الاسرائيليون لحملتهم المزمعة بجملة تصريحات وعلى مختلف المستويات، منتظرين حادثًا ميدانيًا يردّون عليه، يليه ردّ فلسطيني من جنوب لبنان، وذلك لتحضير الرأي العالم المحليّ والعالميّ وإقناع الولايات المتّحدة بجدوى الحرب على لبنان وضرورتها . ففي ٢٤ شباط ١٩٨٢ قال موشى أرينز، سفير إسرائيل في واشنطن، لتلفزيون ان بي سي NBC: «اذا استفزّ الفلسطينيون اسرائيل وتدخلّنا إثر ذلك في جنوب لبنان، فالأمر سيعني نهاية منظّمة التحرير الفلسطينية». ثم حذّر وزير الدفاع آرييل شارون في ١٨ آذار من أنّ بلاده قد تجد نفسها مُجبرة على التحرّك ضدّ الفلسطينيين، مُتحدّثًا عن مجموعة عمليات تخريبية وإرهابية نفذّها الفلسطينيون... وبعد عشرة أيام، تبعه وزير الخارجية الاسرائيلية اسحاق شامير الذي هدَّد بدوره قائلاً: «إذا استأنف الفلسطينيون إطلاق النار من لبنان سنحلّ مشكلة الإرهاب في لبنان حلاً نهائيًا... لن تكون هناك حرب استنزاف كما حدث في كريات شمونة في صيف ١٩٨١» ...[١]

بعد أسبوع على تهديدات شامير، وقع في ٣ نيسان ١٩٨٢، حادث في باريس تمثّل باغتيال السكرتير الثاني في السفارة الاسرائيلية ياكوف بريسمانتوف (٤٢ عامًا) على يد إمرأة أطلقت عليه النار وفرّت، فسارعت إسرائيل الى إتّهام منظّمة التحرير الفلسطينية، وقد تبيَّن أن مجموعة تابعة لتنظيم صبري البنّا (أبو نضال) قامت بالإغتيال مدفوعة من النظام العراقي المتورّط في الحرب مع إيران والراغب في إندلاع حرب شاملة في المنطقة وتوريط سوريا وإسرائيل في حرب... إذ كانت تل أبيب ودمشق تدعمان طهران ضدّ بغداد...

١- تعرّضت المستوطنات الاسرائيلية في كريات شمونة لقصف من جنوب لبنان أوقع عددًا من الاصابات وأثار الهلع في نفوس المستوطنين... وقامت اسرائيل بسلسلة غارات عنيفة على مواقع منظمة التحرير الفلسطينية.

تكفّل تنظيم أبو نضال بتقديم مبرّر الحرب لإسرائيل، إلا أنه وحتى تاريخه لم يكن مجلس الوزراء الإسرائيلي قد صادق رسميًا على خطّة اجتياح لبنان، إضافة إلى أن إسرائيل كانت تحاول الحصول على الضوء الأخضر من الولايات المتحدة الأمريكية.


شامير شدّد على حلّ نهائي لمشكلة الفلسطينيين

وتفويتًا لحصول إسرائيل على مبرّر للعملية، وجَّه كلّ من خليل الوزير (أبو جهاد) وصلاح خلف رسائل إلى جميع الفصائل الفلسطينية طالبين بوضوح الامتناع عن تنفيذ أي هجوم على الدبلوماسيين الإسرائيليين.

في صباح اليوم التالي، التأمت الحكومة الاسرائيلية على مدى أربع ساعات لمناقشة مسألة اغتيال ياكوف بريسمانتوف، واعتبرت الإذاعة الإسرائيلية الإغتيال خرقًا لوقف اطلاق النار في جنوب لبنان، فيما دعا وزير الخارجية اسحاق شامير في كلمة ألقاها في دفن الدبلوماسي الإسرائيلي الى حملة واسعة تستهدف اغلاق مكاتب منظمة التحرير في كل أنحاء العالم، واعتبر أن أوامر الاغتيال صدرت من مركز الارهاب في لبنان، وهدّد بأن اسرائيل ستدمّر المنظّمات التخريبيّة في أي مكان يُمكن أن تصل إليه يدها من دون رحمة أو كلل...

لم يكن أوان العملية قد حان بعد، ففي شهر نيسان لم تكن العوامل الجويَّة تسمح باجتياح كبير، بسبب إمكانية هطول أمطار غزيرة قد تُعيق تقدّم الآليات وتُعرقل عمل المشاة، على الرغم من أنّ إسرائيل حضّرت للرّد بغارات جويّة، سبقها تهديد رئيس أركان الجيش الإسرائيلي رفاييل إيتان بالقضاء نهائيًا على منظمة التحرير وأبلغ صحيفة معاريف أنّ المنظمة مسؤولة عن إغتيال الدبلوماسي بريسمانتوف...

المقاتلات السورية لن تكون على الحياد

بعد عشرة أيام على إغتيال بريسمانتوف، أكدت صحيفة «ديلي تلغراف» البريطانية في ١٤ نيسان ١٩٨٢ أن إسرائيل حشدت في مناطق الحدود اللبنانية قوّات قوامها أربعون ألف جندي لغزو لبنان. وقالت صحيفة «الأوبزرفر» من جهتها ان إسرائيل «أتمت كلّيًا الاستعدادات العسكريّة لتوجيه ضربة للثورة الفلسطينية وللحركة الوطنية اللبنانية».

في ٢١ نيسان ١٩٨٢ نفّذ رفاييل إيتان تهديده، لكن ما لم يكن في حسبان إسرائيل هو التورّط السوري، فخلال غارات جويّة نفّذتها الطائرات الاسرائيلية لمدة ٩٠ دقيقة على المنطقة الممتدّة من الدوحة حتى اقليم الخروب مستهدفة مواقع القوّات المشتركة، حصل إشتباك بين المقاتلات الاسرائيلية والسورية أسفر عن سقوط طائرتين سوريتين، فيما ادّت الغارات الى سقوط ٢٣ قتيلاً و٦٠ جريحًا.

في السابع والعشرين من الشهر نفسه، كشف رئيس الحكومة الاسرائيلية مناحيم بيغن أنه أوضح للولايات المتحدة التالي : «اذا فتح الفلسطينيون النار على شمال إسرائيل، فقد يجتاح جيشنا لبنان لكي يدمّر تشكيلهم العسكري...»



عرفات يعاين مدفعًا في منطقة عرمون


إكتمل المشهد واحتشدت الآليات إستعدادا للإجتياح

وبالفعل شهد الأسبوع الثاني من أيار تصعيداً عسكرياً لافتاً، ففي التاسع منه، قصفت الطائرات الإسرائيلية مواقع في قضاء الزهراني وساحل الشوف، ما أدّى الى سقوط عشرات القتلى والجرحى وأضرار جسيمة في المواقع المستهدفة، فردّت منظمة التحرير بوابل من صواريخ الكاتيوشا مستهدفة منطقة الجليل الأعلى شمال اسرائيل.

إكتمل المشهد وتوضّحت الحجّة، وأُعلن لأول مرة عن هدف الإجتياح أو عن المسافة التي قد يبلغها، فبدأت إسرائيل بحشد قوات عسكرية على حدودها مع لبنان، وفي الرابع عشر من أيار، أكّد رئيس أركان الجيش الإسرائيلي رفاييل إيتان وجود الحشود العسكرية مهدّداً بتوجيه ضربة للفلسطينيين قد تصل الى بيروت قائلاً: «بإمكانهم زرع لغم... لكننا قد نصل الى بيروت وندمّر كل مدفعيتهم ومراكزهم...».

في غضون ذلك، حاولت إسرائيل في الخامس والعشرين من أيار، جسّ نبض الجيش السوري ومدى تدخّله في حال حلّقت المقاتلات الاسرائيلية فوق كل الأراضي اللبنانية، فانطلق سرب من طائرات «الفانتوم» من مطارات اسرائيل وبدأ التحليق فوق الجنوب وبيروت، وما أن توغّل فوق منطقة البقاع، حتى اعترضته طائرات «الميغ» السورية، فحصل إشتباك جويّ أدّى الى سقوط طائرتين سوريتين من نوع ميغ ٢١... فأدركت حينها إسرائيل أنَّ السلاح الجوّي السوري لن يكون على الحياد تماماً، وبات واضحاً لها حجم المواجهة ومدى قوّة دفاع منظمة التحرير الفلسطينية، وذلك بعدما قدّم وزير الدفاع الاسرائيلي آرييل شارون تقريراً لوزراء حكومته فنّد فيه قدرات المنظّمة على الشكل التالي:

«عزّزت منظمة التحريرالفلسطينية قوّاتها ببطاريات مدافع طويلة المدى (معظمها سوفياتية حصلت عليها من سوريا وليبيا)، ووسّعت رقعة شبكاتها وبناها التحتية من مراكز قيادة، ومواقع

ومخازن ذخيرة... بلغت ترسانة المنظّمة ثلاثة أضعاف ما كانت عليه بعد عملية الليطاني عام ١٩٧٨، واصبحت تحوي قرابة التسعين مدفعًا من عيار ١٢٢ و١٣٠ ملم وعددًا كبيرًا من المدافع الميدانية القصيرة المدى، ومئة راجمة صواريخ في كلّ منها ٤٠ فوهة، واكثر من مئة دبابة ومئة وخمسين آلية لنقل الجنود، ومئتي بطارية DCA المضادّة للطائرات... أما بالنسبة لعديدها فهو ما بين الخمسة عشر والعشرين الف رجل مسلَّح...».



اللواء سامي الخطيب كان يضع القيادة السورية بكل التفاصيل

وأنهى شارون تقريره بملاحظة تقول: «إنّ قوّة نار مدفعية منظّمة التحرير توازي العتاد العادي لأربع أو خمس فرق عسكرية كاملة...».

في المقابل، لم تكن القيادة السورية بعيدة عمّا يجري التحضير له من دون أن تعرف حجم العملية ومدى اتساعها، ويقول العميد سامي الخطيب الذي كان قائدًا لقوات الردع العربية (والتي تمثّلت بعد فترة وجيزة من إنشائها بالقوات السورية فقط): «كنت أضع القيادة السورية العسكرية والسياسية بصورة التوقّعات والمعلومات المتوافرة عن اجتياح وشيك لجنوب لبنان بهدف ضرب البنية الاساسية للقوة العسكرية الفلسطينية، وتدمير المراكز والتحصينات ومنصّات الصواريخ، وإبعاد ما يبقى من هذه الأسلحة مسافة ٤٥ كيلومترًا عن الحدود الدولية المُعترف بها بين فلسطين المحتلّة ولبنان... وأصريّت على متابعة إرسال المعلومات حول تطوّر الوضع الأمني العسكري في الجنوب وشمال الليطاني، لأنّ توزيع قوات الردع العربية منذ دخولها الى لبنان العام ١٩٧٦، تنفيذًا لقرارات قمتي الرياض والقاهرة[١] كان توزيعًا أمنيًا وليس عسكريًا لمهمات دفاعية».[٢]

١- توزيع قوات الردع وإنتشارها في كل الأراضي اللبنانية بالتفاصيل في كتاب «معارك سوريا في لبنان- الجزء الأول»
٢- في عين الحدث - خمسة وأربعون عامًا لأجل لبنان -اللواء سامي الخطيب.

كيف استعدّ الفلسطينيون؟

بعد تأكّدهم من حصول إجتياح إسرائيلي، بلغت درجة استنفار الفلسطينين حدّها الأقصى، ودرسوا بدقَّة الساحل اللبناني وإحتمالات عمليات إنزال بحريَّة وجويّة، وقيام إسرائيل بهجوم شامل يُمهَّد له بقصف شديد. ويقول أبو الطيب، محمد الناطور في كتاب زلزال بيروت: «قمنا بوضع الكمائن المعزّزة بالقرب من المناطق التي يُحتمل أن تتمّ الإنزالات فيها، وليس فقط على الساحل بل أيضًا في العمق حول قلعة الشقيف، ومنطقة الزهراني والدامور وخلدة وشاطئ مخيّم الرشيدية... وأصدر أبو عمار تعليماته بتزويد كافة القوّات بكلّ ما يلزمها من الأسلحة والذخيرة والتموين وبكميات إحتياط لمدة شهرين، إضافة إلى تزويد كلّ فصيل وقائده بالتعليمات الضرورية وحرية الحركة وتقدير الموقف، وإستقلالية القرار والمواجهة وخاصة إذا تعطّلت الاتصالات بسبب أجهزة التشويش... وأُصدرت الأوامر بتخزين المواد التموينية والمحروقات والذخائر، وتكثيف التدريب على القتال».

ويضيف: «قام الفلسطينيون بوضع كمائن على الساحل اللبناني من الجنوب الى بيروت وتوزيع جزء من قوّاتهم على عددٍ من المرتفعات المسيطرة على البحر... ونفّذوا خطة لحماية الشاطئ الممتدّ من بيروت مرورًا بالحمام العسكري وحتى الجية، ووُضعت كتيبة من قوات الـ ١٧ بقيادة النقيب أبو عوض في منطقة مدينة الملاهي - الروشة السمرلاند، الرملة البيضاء الكورال بيتش حتى حاجز القوات السورية في مدخل الأوزاعي. وعزّزت منطقة الأوزاعي بسرية ثانية تمركزت على طول الساحل الممتدّ من مطعم أولاد ناصر ميامي وحتى منطقة الآثار في حال حاول الإسرائيليون القيام بعملية إنزال في المطار... إذ تُعتبر منطقة الاوزاعي إمتدادًا لمخيمات صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة.

وتمركزت سَريّة بقيادة النقيب أبو حديد في منطقة المدرج الغربي للمطار بين الأحراش كانت موزّعة على شكل كمائن ليل نهار، ودُعّمت حارة الناعمة بسريّة بقيادة النقيب أبو شامخ للإشراف على المنطقة من خلدة وحتى آخر الدامور .

تمَّ تأمين مناظير ليلية ودروع واقية للرصاص للمقاتلين، وسُلّم أول منظار ليلي الى المدافعين عن قلعة الشقيف، وحُفرت الخنادق في كلّ المواقع الفلسطينية لاتّقاء الغارات الجوية. وطلب أبو عمار نقل دبابات ت٣٤ من الدامور إلى بيروت بطريقة مموّهة، فانتشرت قوات أمن ١٧ على طول الطريق الممتدّ من الدامور حتى بيروت، ودخلت الدبابات بتمويه تامّ ولم يرها أو يعرف بمكان

وجودها أحد، وكان لهذه الدبابات دور فاعل في معركة بيروت. كما كان لدى الفلسطينيين عدد من الناقلات الثقيلة، وناقلات B.T.R وسيارات مصفحة.

ويذكر أبو الطيّب أنه: «في بداية شهر آذار ١٩٨٢، إنتقل ضباط فلسطينيون للتدريب في جمهورية اليمن الديمقراطية وكان على رأسهم النقيب جهاد، والنقيب أبو عوض، والنقيب أبو حديد والنقيب أبو الفدا. وتدرّبت مجموعة العميد أبو الوليد على مدافع ١٠٠ ملم م/ط، وأُخضع المقاتلون لدورات أكاديمية، ودرس العديد منهم الهندسة البحرية، الطيران الحربي وهندسة الطيران رغم عدم إمتلاكهم للطائرات، وتخصّصوا بمختلف الأسلحة ومنها الدبابات، بهدف معرفة تقنيتها وتكتيكها ودورها في الحرب، حتى إذا أمكنهم الاستيلاء على بعضها في المعارك، إستعملوها ضد العدو...».



الفلسطينيون جنّدوا كلّ طاقاتهم للحرب

نصب الفلسطينيون كمائن على طول الساحل من الجنوب الى بيروت

القاتل والقتيل والمعلومات في غيبوبة

حلّ شهر حزيران، وهو التوقيت المقرّر لبدء عملية «سلامة الجليل» كما أسماها الجيش الاسرائيلي، فالطقس أصبح مساعداً للعمليات العسكرية وكلّ الإستعدادات إكتملت، وأصبح الرأي العام الاسرائيلي والدولي مؤهلين...

يوم الخميس ٣ حزيران، تعرّض السفير الاسرائيلي في بريطانيا شلومو أرغوف[١] لمحاولة اغتيال في لندن، فبينما كان يخرج من فندق دورسيستر عند منتصف الليل، هاجمه ٣ مسلحين أعضاء في منظمة أبو نضال - صبري البنّا، فأصيب بجروح بليغة تسبّبت بشلله جراء رصاصة اخترقت رأسه وسقط على الرصيف شبه ميت، فيما قُتل أحد مُطلقي النار على يد عنصر من أمن سكوتلنديارد، وعُثر في جيبه على لائحة تضمّنت أهدافًا أخرى كإغتيال شخصيّات يهودية بارزة، وممثّلين إسرائيليين حكوميين في بريطانيا وبعض الدول الأوروبية... بقي شلومو أرغوف على قيد الحياة، لكنه عاش في غيبوبة دائمة... وبذلك ماتت المعلومات الكاملة بمقتل المعتدي وغابت التفاصيل مع غيبوبة أرغوف...



شلومو أرغوف «الإغتيال الذريعة»



مجموعة أبو نضال إغتالت السفير أرغوف

١- شلومو أرغوف (١٩٢٩ - ٢٠٠٣) من مواليد القدس، إنضمّ إلى البلماح، القوّة المتحرّكة الضاربة التابعة للهاغاناه وهو في سنّ المراهقة والتحق بالجيش الإسرائيلي في بدايات تأسيسه في عام ١٩٤٨ وجرح في حرب ١٩٤٨. تخرّج من جامعة جورجتاون في مجال العلاقات الخارجية عام ١٩٦٢، وبدأ مسيرته الدبلوماسية كملحق للسفارات الإسرائيلية في غانا ونيجيريا، وأصبح سفيراً لإسرائيل في المكسيك من العام ١٩٧١ إلى العام ١٩٧٤ وسفيراً في هولندا عام ١٩٧٧ وسفيراً في بريطانيا عام ١٩٧٩.

خطة أورانيم الوسطى... سلامة الجليل

المرحلة التحضيرية: قصفٌ مدمّرٌ ليومين

إعتبر مناحيم بيغن العملية ضدّ أرغوف «إعتداء على اسرائيل»، واتفق مع رفاييل إيتان، إذ كان شارون في بوخاريست، على تنفيذ خطة «أورانيم الوسطى»[1] («أورانيم الصغرى» كانت عملية إجتياح عام ١٩٧٨، ووصلت حتى نهر الليطاني)، وتقضي بأن يقصف سلاح الجوّ الاسرائيلي تسعة أهداف في بيروت، وسبعة في الجنوب... وتمَّ الحصول على موافقة الحاخام «مائير» بالقصف يوم السبت إذا اقتضت الحاجة.

١- بعد تنقيح خطة أورانيم في تشرين الثاني ١٩٨١ اصبحت بحسب مذكرات أريل شارون تشمل الأهداف التالية:
- إزالة خطر الارهابيين كليًا - أي تصفية قواتهم العسكرية وبنيّتهم التحتيّة، لا سيّما في بيروت.
- تحييد السوريين عبر مناورات ترهيب وتهويل متجنّبين قيام مواجهة فعليّة معهم.
- وضع كافة التجمّعات السكنيّة في شمال اسرائيل خارج مرمى طلقات المدفعية منذ بدء العملية.
- الحرص على ألا تطال العملية الشيعة والدروز والمسيحيين.
- لا مصلحة بإبقاء الجيش طويلاً في الأراضي التي يستولي عليها، والانسحاب فور تحقيق الاهداف الآنفة الذكر.
- لا يتمثل هدف العملية بضمان سيادة الحكومة اللبنانية على كامل اراضيها...
- أهميّة العلاقة مع المنطقة المسيحية في الشمال الشرقي التي تشكّل شرطًا ضروريًا لبلوغ الاهداف المذكورة في النقاط السابقة، لأنها المنطقة الوحيدة التي تسمح بعزل بيروت وقطع طريق بيروت - دمشق، من دون أن يقضي الأمر مواجهة الآلة العسكرية السورية الرئيسية في البقاع.

ولحظ المشروع تسعة أهداف هي في متناول القوات اللبنانية بالتعاون مع الجيش اللبناني او أقلّه مع بعض وحداته وبمساندة الجيش الاسرائيلي:
- خلق سدّ على مثلّث خلدة من شأنه منع كل امكانية انكفاء فلسطيني من الجنوب باتجاه بيروت.
- السيطرة على بيروت مع أفضلية للجيش اللبناني في هذه العملية.
- السيطرة على منطقة بعبدا حيث تتواجد وزارة الدفاع والقصر الجمهوري.
- السيطرة على مرتفعات المتن حيث ينتشر اللواء ٦٢ السوري والذي كان يهدّد طريق بيروت - دمشق.
- إعادة السيطرة على مرتفعات صنين، واستعادة مدينة زحلة و«الغرفة الفرنسية».
- السيطرة على سفح جبل لبنان الشرقي كخطوة اولى، ثم السيطرة على لبنان الشمالي كخطوة ثانية.
- تحرير الشمال الذي تحتله القوات السورية منذ صيف ١٩٧٨، (بشري وزغرتا والكورة) وحتى حدود جبل تربل.
- هجوم باتجاه عكار في حال قيام نزاع اسرائيلي - سوري أو إذا قامت صعوبات داخلية في سوريا نتيجة لنكسة عسكرية في لبنان.
- السيطرة على المناطق المسيحية في البقاع علمًا بأن هذه العملية مرتبطة بنتائج الهجوم الاسرائيلي في المنطقة...

شارون: «لن نهاجم السوريين إلا اذا هاجمونا»

الجمعة ٤ حزيران ١٩٨٢، إجتمعت الحكومة الاسرائيليّة لإتّخاذ قرار الردّ على الاعتداء الذي استهدف أرغوف. أعلم رئيس الحكومة مناحيم بيغن الوزراء بأنّ الاعتداء نفَّذته مجموعة أبو نضال، وقال: «ليس من المقبول أن يفلت من العقاب هؤلاء الأوغاد الذين يحاولون إغتيال دبلوماسيّينا. لدينا في العالم عشرات السفراء. أننتظر مصرع ممثّلينا في رومانيا أو أثينا حيث يسهل القتل أكثر ممّا يسهل في لندن؟»(١)

من جهته، إستنكر عرفات محاولة اغتيال «أرغوف»، وغادر بيروت في ٤ حزيران متوجّهاً إلى الرياض للمشاركة في لجنة السلام التي كانت تحاول إيجاد حلّ للحرب الإيرانية العراقية...

مع تلاشي الغيوم التي أعاقت عملية القصف، بدأت الطائرات الإسرائيلية قصف أهدافها في بيروت (المدينة الرياضية ومخيم برج البراجنة)، ثم الجنوب (صربا، تلة حومين الفوقا، الجرمق، صور، مخيم الرشيدية، الجية على الطريق الساحلي)، كما شمل القصف القطاع الشرقي والعرقوب (كوكبا، حاصبيا، الحاصباني)، ما أدّى الى سقوط ٦٠ قتيلاً و٢٧٠ جريحاً. ردَّت المدفعية الفلسطينية المشتركة بقصف مستوطنات وتجمّعات الجيش الاسرائيلي في معيان باروخ، شاريا شوف، يوسف ترمبلدور، دان، هاغوشريم، هونين، كفار جيلادي، قدس، النبي يوشع، بيشوم، عين السيوف، نهاريا، مطار البص العسكري، المطلة، مسكاف عام، ريحانية، كريات شمونه، بالإضافة لحشوداتهم العسكرية في مرجعيون والقليعة والشريط

عرفات إستنكر إغتيال أرغوف ونفى مسؤولية المنظمة

١- مذكرات شارون



بيغن طلب من شارون عَرض الخطة: «سنُبعد الفلسطينيين ولن نهاجم السوريين»

الحدودي ما أدّى الى مقتل إسرائيلي واحد، وقد نجا الوزير يعقوب مريدور من القصف أثناء وجوده في كريات شمونه.

يقول شارون في مذكراته: «...سبب الحرب الرئيسي كان يكمن في سلسلة طويلة من الجرائم التي ارتكبتها منظّمة التحرير الفلسطينيّة، والتي بلغ عددها مئتين وتسعين. أمّا هذا الإعتداء الأخير، فليس إلا الأحدث تاريخًا. ويكمن السبب أيضًا في زيادة عدد البطاريات الطويلة المدى في جنوب لبنان». ويضيف: «أثناء عودتي في ٥ حزيران من بوخارست على متن طائرة بوينغ ٧٠٧ وفوق البحر المتوسط، تلقّى الطيارون تعليمات بالابتعاد عن الشواطئ السورية تفاديًا لملاقاة طائرات الميغ، فانحرفنا غربًا وحلّقنا فوق جزيرة كريت، ثمّ عدنا شرقاً في اتجاه شواطئ اسرائيل... وفي التاسعة مساء وصلت الى القدس للمشاركة في إجتماع الحكومة...».

إفتتح مناحيم بيغن الجلسة معلنًا: «أنّه عرض على الحكومة قرارًا يتعلّق بعمليّة «سلامة الجليل»، ثمّ استدار نحو شارون قائلاً: «حضرة وزير الدفاع، تفضّلوا واشرحوا الخطّة...»».

عرض شارون خطّة العمليَّة وهدفها الذي يتمثّل «بإقصاء الإرهابيين عن مرمى مدافع الحدود الشمالية أي مسافة أربعين كيلومترًا. يتطلّب هذا الأمر طرد الارهابيين المُحتمين خلف الخطوط السورية في البقاع». وشدَّد قائلاً: «نحن لا ننوي صراحةً التعدّي على السوريين، ولكن سنقوم بذلك في حال هاجمونا، وكي نحمل القوّات السورية على الانسحاب سيتقدّم الجيش صوب البقاع الغربي، آملين من السوريين الإنسحاب تفاديًا لوقوع إشتباكات مع قوّاتنا».

وعندما سأل نائب رئيس مجلس الوزراء، سيمحا أرليخ، عمّا اذا كانت العملية تشمل بيروت، أجابه شارون: «بيروت ليست جزءًا من المخطّط... فالعملية لا ترمي الى إحتلال بيروت وإنّما الى إقصاء الإرهابيين حتى مسافة أربعين كيلومترًا».

تدخّل بيغن عند هذه النقطة ليوضح: «أنَّ الحكومة ستُلاحق الوضع بإستمرار، وفي حال فرض احتلالُ بيروت نفسَه، سيكون القرار عندئذ عائداً لمجلس الوزراء، فنحن لن نترك العمليّة وشأنها، كما حصل أيّام الحكومات السابقة». وتابع قائلاً: «ما نقترح القيام به اليوم يتمثّل بطرد هؤلاء الأوغاد الى ما بعد الأربعين كيلومترًا وتدمير أسلحتهم. ستسمح لنا هذه العملية بإحلال الهدوء التّام نهائيًا في الشمال، وفي هذا الإطار، سيبقى احتمال دخول بيروت مفتوحًا...».

في نهاية النقاش، صوّتت الحكومة الإسرائيلية على الخطة بتأييد أربعة عشر صوتًا مقابل إمتناع إثنين عن التصويت . وإضافةً الى الخطة العسكرية التي اعتمدتها الحكومة، تقرّر عدم الهجوم على الجيش السوري إلاّ إذا قام بمهاجمة الجيش الإسرائيلي مع الإشارة الى أنَّ «إسرائيل تصبو الى قيام معاهدة سلام توقّعها مع لبنان المستقل».

في هذه الأثناء، كتب الجنرال رافاييل إيتان، من مركز قيادة الشمال، في يوميّاته:

«ننتظر قرار الحكومة المجتمعة هذا المساء. كنَّا سنُعلم المسيحيين، لكي نحضّرهم لمثل هذا الهجوم البرّي لو لم نكن نخشى «هروبهم». والآن أُصدرت الأوامر بتعبئة الإحتياطيين، بقرار من الحكومة، وبدأت مناقشة جديدة، في هيئة الأركان، حول طبيعة الأهداف التي سيقصفها الطيران. وأكرّر: من المحتمل أن نتوقّف أثناء العملية البريَّة، في مكان ما في الطريق، لنتحقّق من إرادة الدول الكبرى. فالمكان الذي ستكون فيه دباباتنا يتّخذ أهميّة كبيرة. يجب أن نكون مستعدين لإجتياز الحدود غدًا بعد الظهر... وسيعتبر الخصم أنها عملية روتينية: عملية إطلاق نار إرهابية يردّ عليها تساحال...».

وفور عودته من بوخارست، إنتقل شارون في مروحيّة الى مركز قيادة القطاع الشمالي، فدرس الخطط مع ضباط المقرّ الرئيسي، موضحًا أن الحكومة قد حدّدت الهدف السياسي من العملية، ألا وهو إقصاء قرى الجليل عن مرمى المدافع. في سبيل هذا الهدف، على الجيش التوقّف عند نهر الأولي في القطاعين الغربي والأوسط، وعند حاصبيّا في جنوب البقاع، التي تقع على مسافة تقلّ عن ثلاثة عشر كيلومترًا، لكي يتمّ تفادي المواجهة مع السوريين وتوفير الوقت لهم ليسحبوا قواتّهم. ووفقًا للأمر رقم واحد الصادر عن هيئة الأركان والمتعلّق بهذه العملية، كان على الجيش الاستعداد لتنفيذ كافة مراحل «أورانيم» كقطع طريق بيروت - دمشق، وتحقيق الاتصال مع المسيحيين، وشرذمة قوات الاحتلال السورية اذا ما قررت الحكومة ذلك.

إلتهبت جبهة الشمال في اليوم نفسه، وقامت المدفعية الإسرائيلية والبحرية والطيران بمهاجمة نقاط عدّة في جنوب لبنان... فشاركت ١٠٥ طائرات في القصف الذي شمل ٥٥ قرية في الجنوب والشوف وبيروت والبقاع الغربي، وقصفت البوارج الاسرائيلية الشاطىء الممتدّ من خلدة الى صور،

وأغارت الطائرات على طريق خلدة - الدامور الدولية لقطع المواصلات بين بيروت والجنوب... وبلغت حصيلة اليوم الثاني ١٠٠ قتيل و٣٠٠ جريح. واعتُبرت هذه الغارات الأعنف التي شُنّت على لبنان منذ العام ١٩٤٨، وأعلنت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أن الطائرات الاسرائيلية ألقت قنابل عنقودية على منطقة عرمون. في المقابل، تمكّنت الدفاعات الارضية بحسب الفلسطينيين من إصابة طائرتين إسرائيليتين.



إيتان: «كنّا سنُعلم المسيحيين... لو لم نكن نخشى هروبهم»

كان قادة أركان القوات اللبنانية قد أرسلوا، في قارب عسكري الى المنطقة التي تقع تحت سيطرة الرائد سعد حداد، كلٌّ من الياس الزايك وبطرس خوند، بهدف دخولهما مع الجيش الاسرائيلي ليُحَيّدوا القرى المسيحية والشيعية في منطقة الجنوب... واختير هذان القياديان لأنّ الزايك كان مفوّضاً للقوى النظامية الكتائبية وأحد قادة اركان القوات اللبنانية، وخوند كان معروفاً من الكتائبيين والقواتيين في الجنوب وخصوصاً في قرى جزين وشرق صيدا والزهراني وقرى الشوف الساحلي.

المدينة الرياضية تتعرض للقصف في ٥ حزيران ١٩٨٢

الطائرات قصفت بعنف تمهيداً لدخول القوات البرية

المضادات الأرضية حاولت إعاقة الطائرات الحربية

منطقة الرملة البيضاء في بيروت تحت نيران الطائرات الإسرائيلية

الغارات المدمّرة وآثارها على المدينة الرياضية

قصف محيط المطار (تصوير الشهيد جورج سمرجيان)

فلسطيني أمام أنقاض بناية دمرها الطيران

قوّة الإجتياح كانت ضُعف تلك التي واجهت مصر وسوريا

على أثر اليومين المدمّرين، دعا مجلس الامن الدولي الى وقف اطلاق النار في قرار حمل الرقم ٥٠٨، وكلّف الامين العام للأمم المتحدة «جافييه بيريز دوكويار» متابعة تنفيذه. إتصل ياسر عرفات صباح الأحد ٦ حزيران بقوّاته من السعودية، وطلب وقف القصف إبتداءً من الساعة السادسة وأعلم واشنطن بذلك... لكنَّه عاد بسرعة الى بيروت بعد أن توغّلت الدبابات الإسرائيلية شمالاً، إذ أنه بعد ساعات على صدور القرار الدولي، بدأت القوات البرّية الاسرائيلية عملية الاجتياح، فدخلت الأراضي اللبنانية ثلاثة ألوية اسرائيلية مدرّعة من ستة محاور. تجاوزت المدرعات الاسرائيلية بسهولة تامّة مواقع القوات الدولية التي كان يشغلها ٧,٠٠٠ جندي، ووصف تيمور غوكسل، المتحدّث باسم قوات الأمم المتحدة التي كانت منتشرة على الحدود اللبنانية - الإسرائيلية الوضع آنذاك، بأنّه «في تمام الساعة ١٠:٣٥ من صباح يوم ٦ حزيران ١٩٨٢، إقتربت ١٣ دبابة ميركافا الى جسر الحمراء، وكان هناك ٦ جنود هولنديين من القوة الدوليّة عند الحاجز مسلحين ببنادق رشاشة، حاولوا منع الاسرائيليين من اجتياز موقعهم ورموا عوائق حديدية على الطريق فانكسر محور الدبابة الأولى عند محاولتها التقدّم، وكذلك انكسر جنزير الدبابة الثانية،



مئات الآليات إجتاحت الحدود

لكن ١١ دبابة، نفدت من العوائق، واستمر جنود الجيش الإسرائيلي بالتقدّم هاتفين: «نحن آسفون، هذا غزو». عندها قال الجنود الهولنديون: «نحن قوة حفظ سلام ولا نتوقّع إجتياح مواقعنا»، وبدأوا يلتقطون الصور وإحصاء الآليات إذ تَبِعَ الدبابات الأولى ألف ومئة دبابة أخرى».

لقد زجَّت إسرائيل في إجتياح لبنان ضعف عدد القوات التي واجهت بها مصر وسوريا في حرب عام ١٩٧٣، وقال رفاييل ايتان، رئيس اركان الجيش الاسرائيلي: «إتّجهت المصفّحات الإسرائيلية (أربعة أرتال) ناحية جنوب لبنان يساندها الطيران وسلاح المدفعية، على ثلاثة محاور: باتّجاه الغرب على الطريق الساحلي، في الوسط على منحدرات جبل لبنان، وفي الجنوب باتجاه وادي سهل البقاع وعلى منحدرات جبل الشيخ. في المحور الغربي، تمّ إنزال القوات بحرًا، بينما قرّرنا تطويق المواقع السورية في البقاع بين فكّي كماشة، وبذلك، نهدّد طريق بيروت - شتورا - دمشق. الهدف - الرمز لهذه العملية الأولى هو قلعة الشقيف وهي حصن لمنظمة التحرير الفلسطينية يُرعب ميليشيا الرائد حداد...»



اللون البرتقالي علامة لسلاح الطيران

القوات الدولية إكتفت بإحصاء الآليات الإسرائيلية والتقاط الصور



آليات من مختلف الأنواع

Invasion of Lebanon
June 1982 – September 1983

- Israeli attacks
- Israeli withdrawal
- Israeli front line 6 June 1982
- Israeli front line 3 September 1983
- Syrian forces
- Maronite forces
- Druze forces
- Lebanese forces
- UN forces

خريطة تُظهر توزيع القوى والمحاور التي دخل عبرها الإسرائيليون

الفرق الإسرائيلية التي اجتاحت لبنان

إعتمد الجيش الاسرائيلي أسلوب الحرب الشاملة لإرباك القيادة الفلسطينية، وإحداث خرق سريع باستخدام قوات كبيرة وقصف تدميري، ومهاجمة كلّ المواقع الممكنة دفعة واحدة، حيث هوجمت صيدا في نفس الوقت الذي هوجمت فيه قلعة الشقيف وصور والنبطية والقاطع الشرقي وذلك لمنع أسلحة الاسناد من تقديم نيران فعالة للمدافعين، ولتشتيت القوات الفلسطينية وفكفكة المواقع وإجبارهم على القتال الفردي والتأثير على معنوياتهم، وضرب عنصر السيطرة والقيادة، وعزل وتطويق المواقع الثابتة.

ورغم تواضع القوات المدافعة في عديدها وعتادها، فقد قاتلت بقوّة وأعاقت تقدّم القوّات الإسرائيليّة في أكثر من موقع. ونجح الفلسطينيون في إستدراج الجيش الإسرائيلي، الذي لم يُعطهم فرصة المواجهة الميدانيَّة وإلتقاط الأنفاس، في مناطق عدَّة موقعين خسائر كبيرة في صفوفه.

إنطلقت عملية غزو لبنان على ثلاثة محاور :

- محور ساحلي نفَّذته فرقة بقيادة إسحاق مردخاي وتولَّت إجتياح مخيمات صور (رأس الناقورة - صور، رأس البياضة - صور، جويا - البرج الشمالي).

- محور الوسط يمرّ عبر النبطية نفَّذته فرقة بقيادة الجنرال «أفيغدور مناحيم كاهالاني» وتبعها على المحور نفسه فرقة أخرى يقودها الجنرال «مناحيم إينان» ومهمّتها الإتجاه بعد النبطية نحو الشمال لتشكّل محوراً وسطياً ثانياً شرقي المحور الأول بإتجاه جزين التي تُعتبر بوابة الشوف من جهة الجنوب. وتضمَّن المحور الثاني (إنزال بحري على البص ومفرق العباسية) والشاطئ البحري- صيدا (رأس جسر من البحر - جسر الأولي والرميلة شمال صيدا، والمنطقة الصناعية جنوب غرب). تلا ذلك تقدّم بري من جزين وصربا ومن النبطية والزهراني ومن صور باتجاه صيدا ثم الدامور وخلدة الى بيروت.



إسحاق مردخاي قاد المحور الساحلي

- محور شرقي تقوم به فرقة يقودها الجنرال «أفيغدور مناحيم بن غال» ونائبه الجنرال «إيهود باراك»، مهمتها الوصول الى وادي البقاع مروراً بوادي التيم حاصبيا ثم راشيا الوادي حيث تصبح التجمّعات السورية الرئيسيّة بمتناول المدفعية الاسرائيلية، ومحاولة الوصول عن طريق راشيا -المصنع الى قطع طريق الشام الرئيسية، وبالتالي منع القوات السورية من الإنسحاب باتجاه الشرق.

نفّذ الاسرائيليون سلسلة إنزالات جوية أبرزها في شرق صيدا تلة شرحبيل، وبسري وحصروت وبعقلين والباروك في الشوف، وجنوب صيدا على تلال الزهراني وتفاحتا، وعلى تلال عين عطا في القاطع الشرقي.

أُبقيت فرقة إحتياط كاملة في مؤخرة الحملة، ليصبح مجموع القوى المشاركة خمس فرق كاملة أي نحو ٧٠٠٠٠ جندي ، ١٢٥٠ دبابة و١٥٠٠ ناقلة جند و١٢٠٠٠ شاحنة وأكثر من ٥٠٠ طائرة حربية، إضافة الى معظم وحدات النخبة الخاصة مثل سيريت هآدروزيم، وحرس الحدود، والإستخبارات العسكرية. كما شاركت فرقة المظليين الخامسة (فرقة يارون) التي قامت بإنزالٍ على جسر القاسمية وقطعت طريق صور- بيروت...

بلغ حجم القوّات المهاجمة على المحاور كافة في اليوم الاول: ٥٠ ألف جندي، منهم ١٢ ألف مظلي، تساندهم ١٢٤ طائرة مقاتلة رئيسية ومئات المروحيات اضافة الى ١١٠٠ دبابة، ٢٠٠٠ ناقلة جنود مدرعة، ٤٠٠ مدفع متوسط وثقيل، ٤٠٠ مدفع ميدان وهاون، ٢٠ زورق صواريخ، و٥ بوارج حربية. ومع تطوّر الهجوم على المحاور وبحسب تقدّم القوات الإسرائيلية، بلغ حجم القوّة الاسرائيلية نحو مئة ألف جندي.



أفيغدور بن غال ونائبه إيهود باراك قادا المحور الشرقي

كاهالاني قاد محور الوسط

يارون أشرف على الإنزالات

دروري قائد الجبهة الشمالية

شارون وإيتان خطّطا وقادا العملية


الطيّار الإسرائيلي أخيعاز أهارون الذي أصيبت طائرته ووقع في الأسر

تقدّمت القوات الاسرائيلية على جبهة عرضها ٩٠ كيلومتراً من شبعا شرقًا حتى صور غربًا، وللحدّ من المقاومة، لجأت إسرائيل الى القصف العنيف. وعلى الرغم من ذلك، تعرّضت لمقاومة قاسية خصوصًا في محيط مدينة صور لمنع تطويقها، لكن الاسرائيليين نفّذوا عمليات إنزال في رأس العين والبرج الشمالي والقاسمية والبصّ والبازورية والعباسية رافقها تقدّم الدبابات... واشتعلت النيران في مصفاة الزهراني، كما تقدّموا على المحاور المؤديّة الى النبطية وفي اتجاه حاصبيا وكوكبا حتى بلدة قلايا ومخيَّم الرشيديّة صور، عباسيّة معشوق، جسر القاسميّة، محور القعقعيّة النبطية - شرق النبطية وغربها، الخردلي سهل الباروك، واعترفت اسرائيل في أول أيام الاجتياح بسقوط طائرة حربية وأسر طيّارها أخيعاز أهارون وسقوط مروحية وفقدان ملاحيها.

... على الرغم من إندفاع الدبابات الاسرائيلية الى مناطق واسعة والانزالات البحرية والجوية، ظلّت مواقع عديدة تقاتل بشراسة وخصوصًا في مخيم البرج الشمالي ومخيمَي الرشيدية والبص قرب صور، وفي مرتفعات علي الضاهر في النبطية وفي قلعة الشقيف واقليم التفاح وحاصبيا والحاصباني، ما كبّد الاسرائيليين خسائر بالأرواح والعتاد. كما حصلت معارك عنيفة في منطقة الجيّة وجسر الاولي، وأُعيق انزال الآليات المدرّعة في تلك المنطقة وفي منطقة صيدا، وتمكّنت القوات الاسرائيلية من إنزال قوات محمولة جوًّا ومعها آليات بمساندة الطائرات العامودية، وتقدّمت الى مثلّث الزهراني وباتجاه الغازية وسط مقاومة ضارية.

وذكرت الإذاعة الإسرائيلية أن الجيش واصل قصفه برًا وبحرًا لمدينة صور، ونجح في عمليات انزال بحري في بلدتي عدلون والانصارية. وفي الساعة التاسعة والثلث من مساء ٦ حزيران، كثّف الجيش الاسرائيلي القتال على المحاور بدعم جويّ ومدفعي، ونجح عند الساعة العاشرة مساءً في تنفيذ إنزال جويّ بين الشواكير والرشيدية، فيما أعلنت وكالة الأنباء الفلسطينية «وفا» أن المقاومة دمّرت ثلاث دبابات إسرائيلية بين الرشيدية ورأس العين، وسبع دبابات أخرى وناقلة جند على

محور البرج الشمالي. وذكرت أن المقاومة أحبطت هجمات الإسرائيليين على جسر القاسمية وصور والرشيدية والنبطية والبرج الشمالي.

من جهتها، نقلت الإذاعة الإسرائيلية بيانات عدّة عن الجيش تقول أنه أُضطرّ الى دخول لبنان لإزالة الكابوس الذي يُخيّم على السكان وليُعيد الامن والطمأنينة... فالهدف هو القضاء على أوكار المخربين... وتوجّه أحد البيانات للمواطنين :«من اجل سلامتكم، امنعوا العناصر المسلّحة من استعمال أحيائكم وبيوتكم مراكزًا لإدارة القتال... علّقوا على بيوتكم رقعًا من القماش الابيض بشكلٍ واضح... الرجاء عدم مغادرة بيوتكم لأن الطرقات معرّضة للقصف...».

في غضون ذلك، تفاجأت القيادة الفلسطينية بالإنسحاب السريع للحاج اسماعيل جبر، قائد الفلسطينيين في الجنوب والذي كان معه آلاف المقاتلين من قوات العاصفة واليرموك، إضافة إلى بعضٍ قوات جيش التحرير الفلسطيني.. وهو كان أول الواصلين الى منطقة البقاع متقدّمًا على جنوده الذين كانوا يبحثون عنه في صيدا... إدّعى الحاج اسماعيل أنه خارج من مقره ليتأكّد من الوضع على الأرض، لكنَّه لم يعد إلى قيادته وهرب إلى شتورة زاعمًا بعد ذلك أنه وجد نفسه مضطرًا للإنسحاب... فطلب عرفات لجنة تحقيق وجرّده من رتبته. ولكن بعد شهرين، وبضغط من السوريين، أُعيدت رتبته، وفَرَضَتْه المخابرات السورية قائداً للقوات الفلسطينية في شمالي لبنان.



المظليون الإسرائيليون بسلاحهم وعتادهم نفّذوا إنزالات في مناطق عدّة

سوريا منعت الأسلحة، مصر إحتجت، السعودية أرسلت أدوية
الأردن تخلّص من كتيبة بدر والقذافي دعاهم للقتال حتى الموت

بعث ياسر عرفات برسائل عاجلة الى كلّ من الرئيس السوڤياتي، الملك السعودي، وأمين عام الجامعة العربية طالباً التحرّك العاجل لوقف العدوان، إذ أنَّ العملية العسكرية الإسرائيلية لم تلقَ سوى بيانات الشجب والإستنكار. فالخارجية الفرنسية دانت الإعتداء، السوفيات إتَّهموا، عبر وكالة «ايتر تاس»، إسرائيل والولايات المتّحدة بشنّ الحرب الخامسة على العرب في إطار اتفاقية سريّة أميركية - إسرائيلية. بدورها، إحتجّت مصر لدى السفير الإسرائيلي في القاهرة، أمّا الملك السعودي خالد بن عبد العزيز، فبعث برسائل عاجلة الى الرئيسَين الاميركي رونالد ريغان



الملك خالد بعث برسائل عاجلة الى ميتران وتاتشر وريغن

والفرنسيّ فرنسوا ميتران والى رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر وعدد من زعماء الدول العربية والإسلامية، دعاهم فيها الى القيام بمسؤولياتهم تجاه الهجمات غير الإنسانية التي تُمارس ضد الشعبَين الفلسطيني واللبناني.

لكنّ منظمة التحرير الفلسطينية كانت تنتظر من العرب دعمًا ميدانيًا لم تحصل عليه أبدًا. فالجزائر، صديقة المنظّمة، أرسلت ٣ طائرات محمّلة بالسلاح عبر دمشق، بقيت ضمن الأراضي السورية. والرئيس الليبي معمَّر القذافي كان وَعَدَ بمساعدات عسكريّة لكنّه لم يفِ بوعوده غامزًا من قناة منع سوريا وصول مساعداته الى الفلسطينيين، متسائلاً عن سبب عدم تدخّل سوريا أو إشتراكها بالمعركة على الرغم ممّا تملكه من إمكانيات عسكريّة كافية لمواجهة اسرائيل. وناشد القذافي المقاتلين الصمود حتى الموت... أما المملكة العربية السعودية فاكتفت بإرسال أدوية... بينما سَمَحَ الأردن لـ «كتيبة بدر»[1] الفلسطينية بالتوجّه إلى بيروت والمشاركة في القتال فتخلّص بذلك من عبئها.

أما لبنان، المقسَّم بين فريق داعم للعملية بهدف التخلص من الفلسطينيين والسوريين وبين فريق رافض للعدوان، فقدَّم شكوى الى الأمم المتّحدة بواسطة مندوبه غسان تويني.


القذافي إستغرب عدم تدخّل الأسد الذي منع وصول الدعم لعرفات

١ - قاتلت كتيبة بدر بالقرب من كفرمتى في الشوف وحاولت إيقاف المدرعات الإسرائيلية في تلك المنطقة. لكنّها تعرضت لهجوم عنيف فسقط منها ٥٠ قتيلاً وعشرات الجرحى وهرب الباقون باتجاه البقاع والشمال وبيروت.

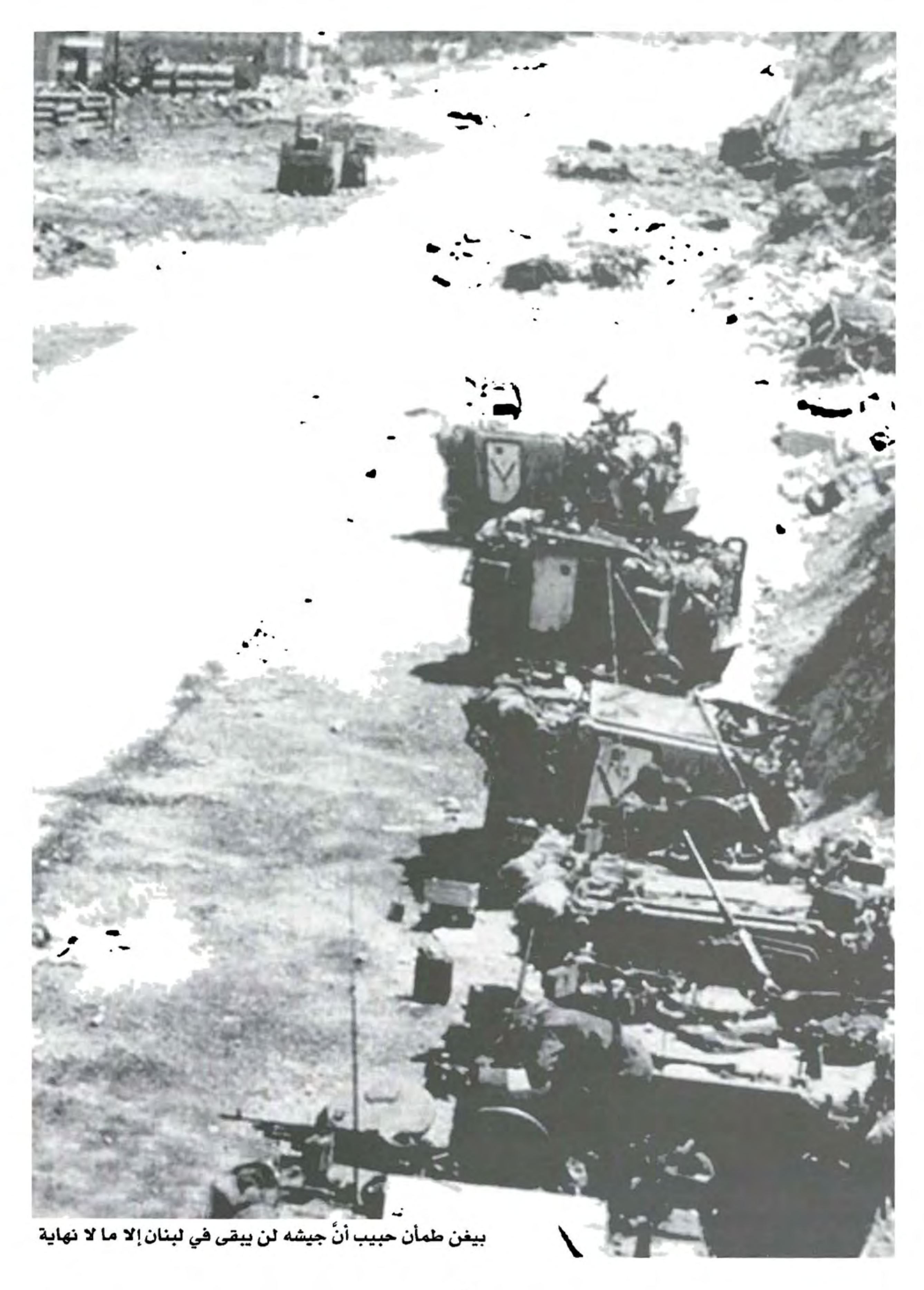
مساعي فيليب حبيب و«الوضع الملعون»

نهار الاثنين ٧ حزيران، وصل المبعوث الأميركي فيليب حبيب الى القدس بعد أن كلّفه الرئيس رونالد ريغن بذلك، والتقى رئيس الحكومة الإسرائيلية مناحيم بيغن الذي أبلغه أن «جيش الدفاع الإسرائيلي» لن يبقى في لبنان الى ما لا نهاية، وأنَّ إسرائيل تنوي التعاون مع الولايات المتحدة لتدبير التسويات اللازمة، لكنها لن تعود الى ما وصفه بيغن بـ «الوضع الراهن الملعون»، وأضاف: «إننا على استعداد لقبول وقف جديد للإعتداءات بوساطة مساعيك الخيّرة، شرط أن يطال كل النقاط المختلف عليها، بما فيها الاعتداءات الإرهابية ما وراء البحار». وتناولت الأفكار الأخرى التي أثارها بيغن تنظيم قوّة متعدّدة الجنسيّات مماثلة لتلك الموجودة في سيناء، واحتمال توسيع نطاق منطقة الجنوب الواقعة تحت سيطرة قوّات الأمم المتَّحدة...

وكانت الحكومة الإسرائيلية طلبت من بيغن، تكليف حبيب السعي لدى الرئيس حافظ الأسد لوقف القصف المنطلق من المناطق الواقعة تحت سيطرة السوريين والذي يستهدف قرى الجليل، والمطالبة بانسحاب فوري الى ما وراء مرمى مدفعية منظّمة التحرير المختبئة وراء خطوطهم.



ريغن كلّف حبيب الإتصال بالإسرائيليين



بيغن طمأن حبيب أنَّ جيشه لن يبقى في لبنان إلا ما لا نهاية

أبرز معارك الفلسطينيين



قلعة الشقيف

أدمت لواء غولاني... والفلسطينيين

واجه الإسرائيليون مقاومة ضارية عند إحتلالهم قلعة الشقيف، التي سقطت بعد قتال عنيف بسقوط كل العناصر التي كانت تدافع عنها. ولأهميتها الإستراتيجية، قام رئيس الحكومة الاسرائيلية مناحيم بيغن مع وزير الدفاع آرييل شارون بزيارتها وتسليمها لقوات الرائد سعد حداد.

وعند وصولهما، سأل بيغن قائد القوّات التي احتلتها : «ألم يستسلم أحدٌ منهم ؟!»

أجابه القائد: «لا، لم يستسلم أحد، لم أرَ واحداً منهم يرفع علماً أبيض. لقد فضّلوا الاستمرار بالقتال، فقتلوا جميعهم».

فأجاب بيغن بدهشة: «إذاً فهم قاتلوا؟! »

ردّ القائد: «نعم يا سيدي، وإني لأشعر بالقلق».

فابتسم بيغن ساخرًا: «إنهم يقاتلون ويموتون».

وكان رئيس الاركان الاسرائيلي رفاييل ايتان أخبر بيغن وشارون انّه تمت السيطرة على القلعة من دون وقوع خسائر إسرائيلية، فعبّرا عن فرحهما بهذا الإنجاز خلال المؤتمر الصحفي الذي عقداه معًا، ما تسبّب بغضب كبير لدى عائلات الضحايا الإسرائيليين.



بيغن وشارون في قلعة الشقيف... ثمن سقوطها كان غاليًا

المعركة بشهادة المهاجمين

«وقعنا في المصيدة»

روى قائد عملية إحتلال قلعة الشقيف[1] المقدّم دوف من لواء غولاني ما حدث خلال المعركة قائلاً: «... تلقّيت أمراً من قائد اللواء الجنرال يكوتيئل آدم، (قُتل على يد الفلسطينيين في الدامور في ١٠ حزيران ١٩٨٢) الخامسة مساء الأحد ٦ حزيران، بمهاجمة قلعة الشقيف وتطهيرها من المقاتلين المتحصّنين فيها... كان تحت إمرتي ٩ دبابات و١٧ ناقلة جند مدرّعة. عند السابعة والنصف مساء، تقدّمتُ مع قوّاتي على بعد عشرات الأمتار من القلعة دون أن نواجه أي مقاومة... نزل العديد من الجنود من مدرّعاتهم واقتربوا مني، وفيما كنت أردّ على استفساراتهم استعداداً لاقتحام الحصن، فُتحت علينا النيران من كلّ جانب، وأمطرونا بالرّصاص وبالقذائف الصاروخية والبازوكا، وتعالى الصراخ والصياح بين جنودي... فقُتل وجُرح عدد من الذين كانوا خارج دبّاباتهم ومدرّعاتهم. بدأت أصرخ بالجنود للتراجع والانسحاب الى الخلف لإعادة التنظيم والانتشار... أدركت أننا وقعنا في المصيدة... وسقط لنا عدد من القتلى والجرحى... إستمرَّ تبادل النار معهم حتى العاشرة ليلاً... ثم وصلتنا تعزيزات كبيرة وتمّ إخلاء الجرحى والقتلى بعدما دُمّر عدد من الدبابات وناقلات الجند... كان عدد الفلسطينيين ٣٣ مقاتلاً، لم نأسر أي فرد منهم لأن جميعهم قاتلوا حتى الموت... لقد دُهشت من ضراوة مقاومة هؤلاء المقاتلين...».

أما الجنرال شاؤول نكديمون الذي بُترت ساقه أثناء معارك الإجتياح بعد إصابة دبابته، فوصف هذا المعركة: «بالمصيدة التي وقعنا فيها كفئران صغيرة وأذهلت بيغن وشارون، وأصيب فيها خيرة ضباطنا وجنودنا، ولي بينهم العديد من الأصدقاء الذين كنت أعتزّ بهم كالعقيد الركن أفنير شماعيا والمقدّم جوني هدنيك والمقدّم بتسائيل مزراحي والرائد يفتاح بن حاسو وآخرين...».

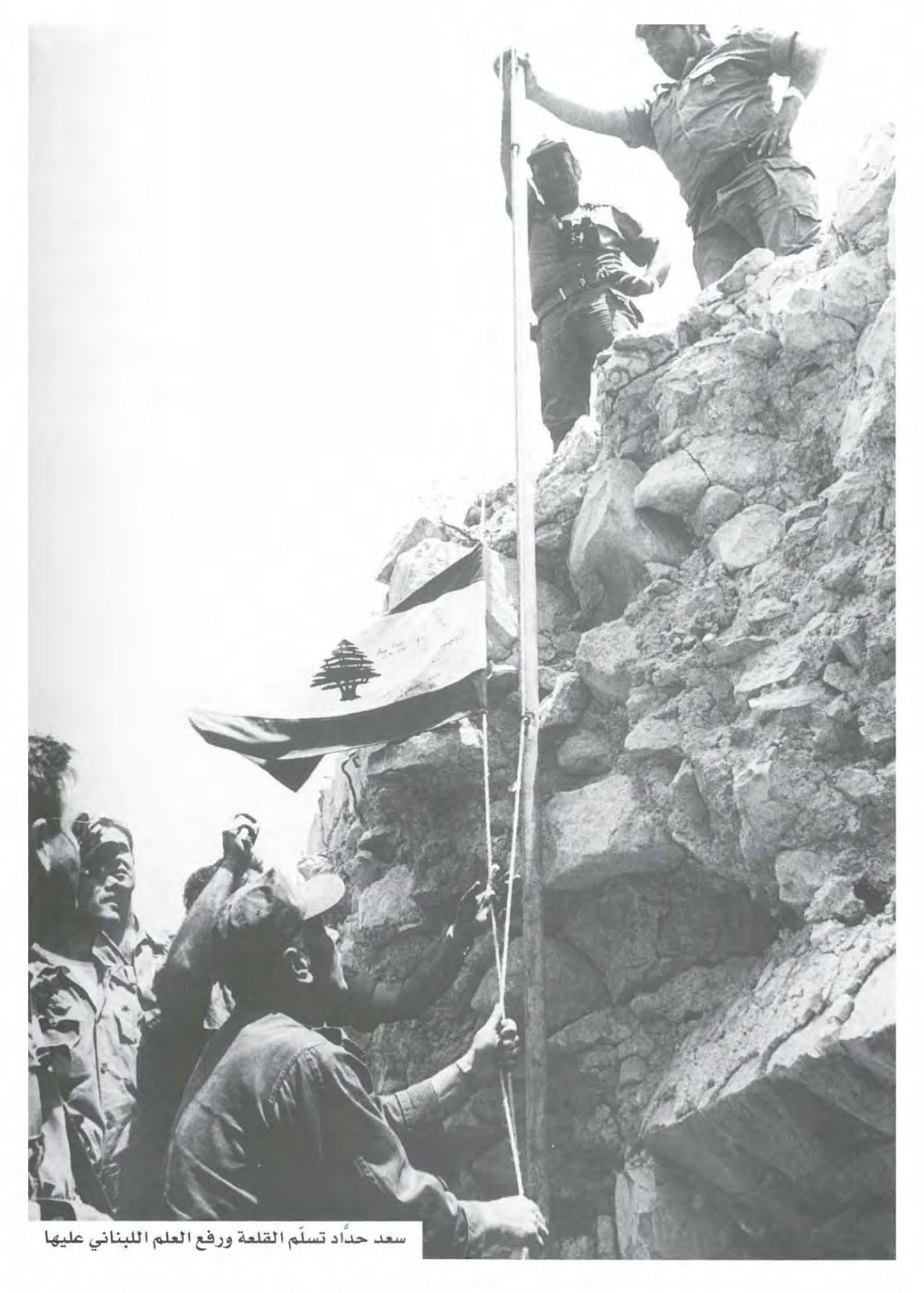
١- السفح الغربي لقلعة الشقيف كان يضمّ في السبعينات أحد مواقع مدفعية الجيش اللبناني الذي وقع في آذار ١٩٧٦ تحت سيطرة جيش لبنان العربي. وبين ١٤ و١٥ آذار ١٩٧٨، قام الجيش الإسرائيلي بغارات جويّة على القلعة. تلاها في ١٩ كانون الثاني ١٩٧٩ إنزال. وفي ١٩ آب ١٩٨٠، نفّذت القوات الإسرائيلية عملية واسعة في محيطها ضد «القوات المشتركة»، وقد عمدت الطائرات إلى قصفها، فسقط أكثر من مئة قذيفة وصاروخ عليها وحولها. وفي فترة الثمانينات، تعرّضت القلعة لخمس غارات جويّة ثم تحوّلت الى نقطة عسكرية - إستراتيجية - إسرائيلية حتى انسحاب إسرائيل في أيار ٢٠٠٠، كما تعرّض محيطها لغارات وقصف مدفعي عنيف في حرب تموز ٢٠٠٦.



شارون يشرح لبيغن تفاصيل المواجهات التي حصلت في القلعة

ويتابع: «في بداية التخطيط لغزو لبنان، كان هناك إجماع على أن هذه الحرب لن تستغرق اكثر من ٧٢ ساعة، هذا إذا لم يتدخّل السوريون. كما كنّا على ثقة تامّة بأن دباباتنا سوف تتابع سيرها حتى بيروت دون توقّف لأننا إعتقدنا أنها سوف تسير فوق أنقاض... فالقصف المكثّف لقلعة الشقيف من ١٣ طائرة إسرائيلية، كان كفيلاً ليس فقط بتدمير القلعة، بل بمسحها عن وجه الأرض... ولكن عند اقترابنا منها - وكانت أول موقع فلسطيني حصين نواجهه في الجنوب اللبناني - اتّضح لنا أنها ما زالت على حالها وأن أحداً من المقاتلين الفلسطينيين فيها لم يُصب على الرغم من القصف الجويّ العنيف، فكنت أول المشككين، وقلت ربما كانت طائراتنا تُلقي بصواريخها بعيداً عن القلعة... وتبيَّن أنَّ المعلومات والتقارير، التي وُضعت خطط الحرب على أساسها وقدّمها الجنرال يهوشاع ساغي رئيس هيئة الاستخبارات العسكرية، وحتى تلك التي دُعِّمت بالصور التي التُقطت بواسطة طائرات الإستطلاع والتي كانت تُشير الى أن الفلسطينيين مجرد قوة صغيرة غير مدربة جيداً غير منظمة وضعيفة، وبأن أسلحتهم الثقيلة محدودة وغير متطوّرة، وأنَّ الخلافات الداخلية المستمرة بينهم والتي تؤدي غالباً إلى سقوط قتلى وجرحى تزيد من ضعفهم وتصدّعهم، لم تكن دقيقة أبداً».

من جهته، أكّد الميجور يعقوب برّاق «أنّ القتال على قلعة الشقيف كان صعباً وقوياً، إذ ان فصيلاً فلسطينياً من وحدة الجرمق كان يرابض هناك، ولم يتأثر بالقصف الصاروخي العنيف قبل المعركة لأنّ المكان كان محصّناً جيداً، كما أنّ أحداً منهم لم يهرب، وقاتلوا ما يزيد عن تسع ساعات متواصلة...». ويتذكّر إصابته قائلاً: «عندما باشرت بتمشيط المنطقة ليلاً، شاهدت أمامي ظلّ مقاتل يرتدي خوذة فصحت به: «من هناك؟» وكنت متردّداً في إطلاق النار خوفاً من أن يكون جندي إسرائيلي من كتيبة أخرى. لم أكن أعلم بأن المقاتلين الفلسطينيين يعتمرون الخوذ أيضاً. وعندما صاح ضابط العمليات الخاصّة بالعربية: «من أنت؟» لم يُجب. وبعد تردّد، قرّرت أن أضغط على الزناد، لكنَّ المقاتل الفلسطيني سبقني بثوانٍ وأطلق النار، فأصابت رصاصاته ٤ جنود، كما أُصبت أنا في صدري ووجهي ... واختفى المقاتل عن الأنظار...».



سعد حدَّاد تسلّم القلعة ورفع العلم اللبناني عليها

بدوره، إعترف الرائد غوغان ببسالة الفلسطينيين قائلاً: «إنهم مقاتلون أشدّاء ومن الأفضل الاعتراف بذلك... فهم قاتلوا حتى آخر رجل حقًا، ولو كانوا جنودًا إسرائيليين، لجرى منحهم أوسمة البطولة التي تُمنح عادة للطيّارين الحربيّين في سلاح الجوّ... إنَّ بعض أصدقائي قُتلوا في المعارك التي دارت في قلعة الشقيف، وكنت كلما طلبت من أحد الجنود أن يحدثني عمّا دار في الموقع، إعتذر بأدب كمن يخشى الاعتراف بالحقيقة.»

خطة الإستيلاء على القلعة كما وردت في كتاب «لبنان آخر وأطول حروب إسرائيل»: «كانت تقضي بالهجوم ليلاً، مع تقدّم قوات من ناحية الشرق. وبما أنه تقرَّر أن يبدأ الزحف صباحًا، وبمساعدة الدبابات والمدفعية البعيدة المدى، كان على أمير دروري، قائد الجبهة الشماليَّة، إجراء تغيير في توقيت الهجوم عليها وإستبدال الليل بالنهار. كان من المفترض أن يبدأ الكوماندوس مهمّته ما بين الساعة الثالثة والرابعة بعد الظهر. أُعلم لواء غولاني بالأمر، فأصدرت قيادته أمرًا للفرقة المعدّة لهذه العملية بضرورة البدء في عمليتها عند الساعة الثانية من بعد الظهر، ولكن الإلتفاف عبر جسر القعقعية، لم يمكّن فرقة الكوماندوس من الوصول حتى غروب ذلك اليوم، الأمر الذي جعل الهجوم النهاري مستحيلاً. وعند الساعة الرابعة من بعد ظهر ذلك اليوم كانت القوات الإسرائيلية، تتّجه نحو تلال النبطية. إتَّصل نائب القائد العام للواء غولاني بالقيادة مستفسرًا عن تعليمات


حدّاد مع جنوده في القلعة

جديدة، فجاء الردّ واضحًا، هذا الإقتحام كان مقررًا أن يتمّ نهارًا، ولكن وفي هذه الحال، لا بدَّ من تنفيذه ليلاً. فاستغرب قائد الفرقة مثل هذه التعليمات، والأغرب في الموضوع، أن رجاله دُرّبوا على تنفيذ المهمّة نهارًا، عاد واتصل ثانيةً، متسائلاً عمّا إذا كان هناك أيّ تأجيل حتى الفجر، فجاءه الردّ صريحًا، «لا شيء من هذا القبيل».

كان من المفترض بجنود فوج الهندسة الـ ٦٥ التقدّم من ناحية الجنوب، في حين تتقدّم فرقة الكوماندوس من لواء غولاني من ناحية الشمال مقتحمةً الخنادق والتحصينات.

تمكّن بعض الفلسطينيين المتواجدين في القلعة، من الفرار، فيما تابع الباقون دفاعهم حتى الموت. احتلال قلعة الشقيف، كان بالنسبة لبعض الإسرائيليين، قضية حياة أو موت «لقد حاربنا لنزع الراية من يدهم»، هذا ما صرّح به موتي غولدمان الذي كان يسير الى جانب رفيقه هارنيك في طليعة المقتحمين البالغ عددهم ٢١ جنديًا. كان على هؤلاء تغطية ما يُقارب المائة وخمسين مترًا من الجناح الأيسر لمواقع العدو. جُلّ ما كان يراه غولدمان، شُهبًا نارية تصدر من ثلاثة أو أربعة مواقع على يساره. لم يكن يعلم ماذا يجري خلفه، زلّت قدمه، فانبطح أرضًا، وانبطح الى جانبه رفيقه جوني. لقد حال صوت الرشاشات دون سماعه صراخ رفاقه الذين سقطوا إما جرحى أو قتلى. جوني أمر موتي بإعادة المحاولة ثانية واعدًا إيّاه بالدعم، ولكن كيف يدعمه، وكلاهما لا يعرفان أن خلفهم من الفريق ستة عناصر، قتيلان وأربعة جرحى.

في اللحظة التي تهيأ فيها موتي للإنقضاض، كانت المدفعية الإسرائيلية تدكّ مواقع الفلسطينيين، فتعلو شهب الإنفجارات مخلّفة دخانًا أسود. وبين القذيفة والأخرى، بدأ موتي، مع سبعة عناصر فقط، محاولته الثانية، وبرفقة إثنين من رفاقه وصل الى أول موقع للفلسطينيين وشرعوا يُطلقون النار فيه بغزارة، لكنَّه سرعان ما سمع رشقًا طويلاً ورأى رفيقيه يهويان وراح يسمع صراخهما. حاول أحد العناصر التي تقدَّمت سحب أحد المصابين من الخندق، ولكنَّ قنبلة يدويّة إنفجرت، وكانت بمثابة رصاصة الرحمة. واصل موتي تقدّمه، في الممرّات الضيقة. بعد لحظات شعر بالبرد والخوف، وبدون أي إحساس منه بما يفعل، عاد الى حيث سقط رفيقاه ليجد نفسه وجهًا لوجه أمام رجل، إما مخبول من الذي يجري أو مجروح. على أي حال، كان على موتي أن يكون السبّاق في إطلاق النار، كانت الرصاصة الأخيرة في مخزن بندقية موتي التي هي من نوع «جليل»، فتناول كلاشينكوف الفلسطيني القتيل... في هذه اللحظة حدَّق حوله فلاحظ سماكة جدران الإسمنت.

عاد موتي ثانيةً وقفز في الخندق، متابعًا إطلاق النار. ماذا يفعل؟ ما هذا الذي يجري؟ لوحة سوريالية أم كابوس مزعج؟ كان بإمكانه وهو يركض من خندق الى آخر رؤية ظلّه على جدران

القلعة وكأنه شبح راقص. إستمرَّ على هذه الحال حتى وصل جوني ومعه إثنان ليقفوا معًا، بمواجهة مشهد مأساوي: مقاتل فلسطيني واحد لا غير، ما يزال متمسّكًا بموقعه، مطلقًا النار من حين لآخر إن أحدًا من الإسرائيليين لم يطلب منه الإستسلام، حتى هو، لم يكن راغبًا بالبقاء حيًا، إنه يريد الدفاع عن موقعه.

مقاتلان إسرائيليان: موتي غولدمان الذي لُقِّب بالصقر، وجوني هارفيك الرجل الذي دُعيَ لمقاتلة الفلسطينيين، وقفا كتفًا الى كتف ولمَ لا؟ طالما أن خيارهما واحد «إما أن تقتل أو تكون مقتولاً». وهكذا شرعا بقذف القنابل اليدوية وإطلاق النار بغزارة. أكثر من عشرين قنبلة يدوية أُطلقت على الفلسطيني المقاوم، فاعتقد الجميع أنَّ كل شيء إنتهى، حتى جوني سقط ميتًا بعد إصابته برصاصة في صدره من ذلك المقاتل الفلسطيني الوحيد الذي إستمرَّ في القتال حتى قضى أيضًا على موتي.

وانتهت المعركة، وانهزم المدافعون عن قلعة الشقيف، وانتصر لواء غولاني. ولكن بأي ثمن؟ خمسة قتلى في الهجوم الأول، وستة في الهجوم الثاني.

وانقشع الصباح، وأطلت الشمس برأسها من فوق قمم جبل الشيخ، وسطع نورها على قلعة «بوفور» من جديد، جثث هنا وهناك، أبطال هم المدافعون وأبطال هم المهاجمون، الأولون دافعوا حتى الموت، وكذلك فعل المهاجمون، لقد أفنوا بعضهم بعضًا. «كان يمكن أن أترك القلعة، كان يمكن ألا أصدر الأمر باقتحامها»، قال قائد لواء غولاني، مستعيدًا ذكرياته. وأضاف: «أعني أنه يمكننا إبقاءها تحت نيران المدفعية الى الأبد بدلاً من إقتحامها».

إنه عسكري ولكنّه يتوجَّع. أما رجال السياسة فيقطفون أزهار النصر المرويّة بدم الجند المهراق عند أقدام أطماعهم وأحلامهم. منذ صباح الإثنين، أخذ مناحيم بيغن يعدّ نفسه للذهاب الى قلعة «بوفور» بصحبة شارون ورجال الصحافة. إيتان بكَّر في الحضور الى المكان، وهو يعاني من صدمة نفسيَّة بعد معرفته بعدد القتلى. بيغن وشارون لا يعرفان شيئًا عن الخسارة البشريَّة، وهذا ما دعا شارون لإطلاق تصريح فيه كثير من الغرور «لم نخسر قتيلاً واحدًا في هذه المعركة». ولكن ضابطًا صغيرًا من فرقة الكوماندوس صاح به «ماذا تقول؟ ستة من رفاقي سقطوا هنا، نعم ستة من فرقتي أنا وحدي» فامتقع وجه شارون لهول المفاجأة.

كل هذا العدد من القتلى لم يغيّر شيئًا، ففي إحتفال قصير، أعلن مناحيم بيغن تقديم قلعة الشقيف هديَّة لصديقه سعد حدَّاد. فعلة بيغن هذه لم تكن كرم أخلاق منه، ولا إعترافًا بأن الفلسطينيين الذين كانوا في القلعة تناسوا إسرائيل وحصروا همَّهم بقصف المدن والقرى الحدودية في لبنان، بل ترطيبًا للأجواء التي تعكَّرت الليل الفائت بينه وبين الرائد اللبناني» [١].

١ - إقتحام القلعة كما ورد في كتاب «لبنان آخر وأطول حروب إسرائيل» (زئيف شيف - اهود يعاري - يعقوب تيمرمان).



المدافعون عن قلعة الشقيف... من هم؟

لم يتمكّن أحد من معرفة حقيقة وتفاصيل ما جرى مع المقاتلين الـ٣٣ الذين كانوا يرابضون في القلعة، إلاّ أنّ الحقيقة الوحيدة هي أنّهم أبلوا البلاء الحسن وقاتلوا حتى الموت، ما أذهل قادة وجنود الجيش الاسرائيلي الذين قاموا بهجمات متكررة وضارية على هذا الموقع...

أطلق الفلسطينيّون على قلعة الشقيف بعد المعارك إسم «قلعة راسم» تيمّنًا بقائد فصيلة المدافعين عنها الفلسطيني يعقوب سمّور الملقّب بـ«راسم»، الذي كان اتّخذ قرارًا مع رفاقه بالقتال حتى النهاية، وكان معه ٢٠ مقاتلاً فلسطينيًا، مقاتلاً يمنيًا، خمسة من الأكراد وبعض اللبنانيين... وبعد فترة طويلة، إكتُشفت بقايا جثّة راسم في القلعة ونُقلت لتُدفن في مخيّم «عين الحلوة».

الصفحة ٦ "النهار" السبت ٥/٦/١٩٨٢

طائرات اسرائيلية اغارت ٩ مرات خلال ساعة على بيروت والضاحية الجنوبية:
٦٠ قتيلاً و٢٧٠ جريحاً واضرار جسيمة في المدينة الرياضية وصبرا وشاتيلا وبرج البراجنة

منتصف الليل: محاولات انزال اسرائيلية وتحركات في اتجاه الحدود

يوم ثانٍ من الغارات: ١٠٠ قتيل و٣٠٠ جريح
مجلس الأمن دعا الى وقف النار صباح اليوم

اسرائيل اجتاحت الجنوب ودخلت النبطية وطوقت صور وحاصبيا
بعد معارك ومقاومة عنيفة خسرت فيها طائرات وآليات وجنودا

لبنان دعا الى قمة عربية ومجلس الامن طالب بانسحاب خلال ٢٤ ساعة
تل ابيب: هدفنا ابعاد الفدائيين ٤٠ كيلومتراً ونتطلع الى معاهدة سلام

اليوم الثاني للاجتياح تخللته مقاومة وعمليات عزلت الجنوب
وغارات جوية على بيروت رافقها اشتباك سقطت فيه طائرة سورية

احتلال الشقيف والنبطية وحاصبيا وقتال في صيدا وصور

تل ابيب: حققنا اهدافا عسكرية توفر حزام امان ونريد حلاً سياسياً

القتال مستمر في صيدا ومحيط صور والساحل ومحاولات تقدم في اتجاه البقاع الغربي

بوادر مواجهة سورية - اسرائيلية بعد اجتياح الشوف الأعلى

"يغن يطلب من دمشق عدم الاشتراك ... و"الانسحاب بعد اجتثاث الارهاب"
اشتباكات جوية وسقوط طائرات واصابات اسرائيل بلغت ضعفي اصابات ١٩٧٨

ليلاً: قتال على الخط الساحلي بعد احباط انزال في خلدة ومعارك على مشارف البقاع الغربي

قصف الصواريخ السورية يصعد المواجهة مع اسرائيل

تل ابيب: دمرنا ١٧ بطارية واصبنا ٢ ■ دمشق: اسقطنا ٢٦ طائرة وسقط لنا ١٦
الاسد تسلم رسالة من ريغان نقلها حبيب واخرى من القيادة السوفياتية

معارك المخيمات

كانت المخيّمات منظَّمة بشكل مستقلّ، وكلّ مخيّم أخذ على عاتقه عملية الدفاع عن حدوده، وقسّمت المنطقة إلى حارات، ووُزّعت المهام على جميع السكان. إتّصفت الحرب في المخيمات بالصعوبة نظرًا للطرقات الضيقة والتحصينات التي أقيمت فيها، وممّا زاد في صعوبة المعارك عدم قدرة الجيش الاسرائيلي على التمييز بين المدنيين والمقاتلين داخل المخيَّمات التي تشهد إكتظاظًا كبيرًا.

عين الحلوة

شُبّهت معركة مخيَّم عين الحلوة بمعركة «متسادا» نظرًا للبسالة والشجاعة التي أبداها الفلسطينيون هناك ما جعلها من أصعب المعارك التي خاضها الجيش الاسرائيلي في لبنان، فعلى الرغم من محاصرة قوات «غولاني» وقوّات مدرّعة للمخيّم، إلاَّ أنها لم تستطع إختراقه، بعد أن تمكَّن الفلسطينيون من منع تقدّم القوات الإسرائيلية في الطريق الساحلي لمدة يومين. فالإثنين ٧


إنزالات جويّة على الساحل الجنوبي

حزيران تقدمت قوات «غولاني»، وقوة مدرّعة من الشرق، وقوة بقيادة إيلي غيفا من الجنوب. حاولت قوة من «غولاني» إختراق المخيّم وفصله إلى قسمين، لكنها لم تستطع، وتبيّن أن إختراق المخيم يحتّم إحتلاله كلّيًا، ورغم جميع المحاولات الإسرائيلية بقي المخيم صامدًا. أمّا الثلاثاء ٨ حزيران، فبدأت الطائرات والمدفعية بالقصف، وطُلبَ من اللاجئين في مكبّرات الصوت إخلاء المخيم، إلا أن المقاتلين منعوهم من الخروج لأنهم عرفوا بالأوامر الإسرائيلية القاضية بعدم ضرب المواطنين الأبرياء. فمرّ اليوم الثاني ومخيّم عين الحلوة صامد رغم كلّ الجهود الإسرائيلية التي بُذلت.

الجنرال مردخاي يهاجم والحاج ابراهيم يدافع

أمر «إيلي غيفا» قوّاته بالتقدّم عبر هضاب شرق صيدا، واستطاع، صباح الأربعاء الإتصال بقوات عاموس يارون والإشتراك في الهجوم على الميناء. نجح لواء «غولاني» في خرق الطريق الرئيسية التي تمرّ في صيدا لكن من دون إحتلال مخيّم عين الحلوة، وبدأت القوات الاسرائيلية بالتقدّم شمالاً بسرعة، وتُركت مهمة إحتلال عين الحلوة لإسحاق مردخاي بعدما سيطرت قواته على مخيّمات صور. وورد في كتاب «لبنان آخر وأطول حروب إسرائيل» أنّه «إبتداءً من يوم الأربعاء ٩ حزيران، إتّبع



إنزال بحري في منطقة صيدا

مردخاي إستراتيجية تقسيم المخيَّم الى مربعات. وتبيَّن أن الذي قاد هذه المقاومة لم يكن عسكرياً ولا يعرف أساليب القتال. إنه الحاج إبراهيم المؤمن بما يقوله الخميني، الذي أقنع رجاله في «جند اللّه»، أنَّ من يموت منهم، يذهب لملاقاة ربّه، «فإما النصر أو الموت».

لم يشأ مردخاي إقتحام مستشفى عين الحلوة، فأرسل بعثة برئاسة طبيب، كان يعمل في مستوصف للفلسطينيين في صيدا، مع إقتراح السماح لجميع الموجودين فيه - بمن فيهم المقاتلين - بالخروج، مع التعهّد بعدم التعرّض لأي رجل غير مسلّح. وبعد مناقشات طويلة عاد الطبيب بصحبة ستة جرحى فقط، معلناً «أن المستشفى سيُخلى غداً». تخوَّف الإسرائيليون من أن يكون التأجيل خديعة جديدة، لكنَّهم وافقوا. وصباح اليوم التالي، دخل الطبيب المستشفى وعاد وحيداً ليعلن «عدم وجود أحد».

كانت مكبّرات الصوت تبثّ الدعوات للمدنيين بإخلاء منازلهم والتوجّه نحو الشاطئ ولكن من دون جدوى، فتحرَّك الطيران الإسرائيلي للضغط على المقاتلين وسكَّان المخيَّم.



القوات المدرَّعة لم تستطع إختراق مخيم عين الحلوة

يوم الخميس ١٠ حزيران، حاول ثلاثة وسطاء من صيدا، إقناع المقاتلين داخل المخيَّم برمي السلاح، منعاً لإيقاع الأذى بالأبرياء، مع التعهّد بالسماح لهم بمغادرة المكان بأمان، فجاء الجواب سريعاً من الحاج إبراهيم الذي أطلق رشقاً بين أرجل الوسطاء «خونة... إذهبوا وأخبروا اليهود أنَّ أحداً لن يترك المخيَّم، حتّى المدنيين». فعاد الوسطاء برواية تقول إن الحاج إبراهيم أصدر الأوامر لرجاله بإطلاق النار على كل مدني يحاول الخروج.

مجدداً، حاول الإسرائيليون إقناع مقاتلي المخيَّم بوقف دفاعهم، إنما هذه المرَّة، عبر وسيط صديق لهم، ضابط فلسطيني أسير، تعهَّد بوضع خبرته العسكريَّة وهو يشرح الوضع الميؤس منه للمقاتلين، لكنَّه هو الآخر عاد كما ذهب، وروى أنه التقى الحاج إبراهيم الذي كان يشجّع رجاله على «الإنتصار أو الموت».

هذه المرَّة إستعان مردخاي، بعلماء نفس من إحدى جامعات إسرائيل جاؤوا خصيصاً الى صيدا ليقدّموا له النصائح، وأطلعهم على محاولاته السابقة التي باءت بالفشل ومنها توجيه نداء عبر مكبّرات الصوت تدعو سكَّان المخيَّم الى ترك منازلهم، وحتَّى تهديده بالنابالم. هنا إقترح علماء النفس تأليف وفد من أربعين شخص، يضمّ أطفالاً، شيوخاً ونساء، والوسيط الفلسطيني، علَّ قلب



فلسطينيو عين الحلوة قاتلوا ببسالة

الحاج إبراهيم يرقّ ويلين. لكنَّ الجواب لم يتغيَّر. فتدخَّل أحد المشاركين في الوفد قائلاً: «ليس هناك أي أمل بالنصر». بدا الحاج إبراهيم غاضباً جداً، عضَّ على شفتيه، وتقدَّم من المتكلّم وهزَّه بكتفه وأمره بالعودة من حيث أتى. فعاد الوفد يخبر مردخاي أن عدداً من المدنيين يُقتل على أيدي الإسرائيليين، وأن رجال المقاومة يُطلقون النار من حين لآخر، في أطراف المخيَّم بحيث يسمع المدنيون المحاصرون صوت الرصاص: «من الأفضل لنا أن نموت في المخيَّم، في بيوتنا، سلاحنا في يدنا، على أن نموت راكعين على أيادي هؤلاء الملعونين».



عمليّة إقتحام أزقّة المخيّم كانت في منتهى الصعوبة والخطورة

هكذا وجد مردخاي نفسه أمام الخيار العسكري، وصمَّم على إقتحام المخيَّم حتى ولو اضطرَّ الى القتال من بيت الى بيت ومن شبّاك الى شبَّاك. وارتفع الدخان. طائرات تُغير، مدافع تقذف الحمم، ناس تموت وتتمزَّق، ورائحة البارود في كل مكان. بدأ الزحف باتجاه الداخل، رغم أنهم اضطرّوا للتوقّف أمام المدرسة بسبب إصابة الدبابة التي تسير في الطليعة. وشرع الإسرائيليون يضيّقون الخناق على المقاتلين الذين قُدِّرَ عددهم بين ١٠٠ و٣٠٠، بينما كانت فعاليَّتهم بحجم فرقة عسكريَّة كاملة.

يوم السبت ١٢ حزيران، تركَّز القتال في الحيّ الغربي للمخيَّم، إنها مرحلة النهاية. وانتهت المعركة بعد السابعة مساءً بقليل، بانفجار عنيف لمستودع الذخيرة. وبرغم هذا، تواصل القتال ليومين متتاليين، إنما دون تنظيم. المركز الأخير كان الجامع، وبغضّ النظر ما إذا كان الحاج إبراهيم لا يزال حيًا أو لا، فإن المتواجدين فيه، رفضوا الإستسلام مفضّلين مواصلة الدفاع حتى حين بدأت القذائف تصيب الجامع مباشرةً. صرخات غامضة وصوت بكاء. هذا ما كان يسمع في الداخل، وظلَّ يُسمع حتى انهار المبنى على من فيه.

الإثنين ١٤ حزيران، سقط المخيَّم نهائيًا، وبدون أي أمل بالنصر، ظلَّ المدافعون عنه متمسّكين بمبادئهم وأهدافهم حتى الرمق الأخير. هزيمتهم وضعت حدًّا لمعركة الجنوب وليس للقتال بين الفلسطينيين والإسرائيليين، ذلك لأنَّه مع إنطلاق آخر رصاصة في عين الحلوة، كانت بيروت تتعرَّف الى مأساة جديدة».


قتال في الأزقة الضيقة وداخل المنازل

مخيّم الرشيديّة
«حاصَرنا جيش من الأطفال»

مخيّم الرشيدية، أكبر المخيمات الفلسطينية في لبنان والواقع جنوب مدينة صور، هاجمته دبابات ومدرّعات وقوّة مشاة من لواء غولاني تدعمها أسراب من المروحيات...

أفشل المقاتلون الفلسطينيون في المخيّم عمليات «الإبرار البحري» مرات عدّة ، وأعطبوا عدداً من الدبابات الاسرائيلية ليتبيّن للجيش الاسرائيلي بعدها ان هؤلاء ليسوا سوى مجموعة من فتية وأطفال لم يتجاوز أكبرهم الخامسة عشرة من العمر... وقد روى ضباط وجنود اسرائيليون بعض ما حصل معهم أثناء مهاجمتم المخيّم، فقال الرقيب ناتان، من سلاح الدروع والذي كان يقود دبابة: «صدرت الاوامر بإطلاق النار في جميع الاتجاهات بعدما حاصَرنا جيش من الاطفال الصغار لا اعرف بالضبط كم كان عددهم، لكنّهم أطلقوا علينا النار من كل الاتجاهات. أُصيبت الدبابتان اللتان كانتا أمامي، إنفجرت إحداها، ولم ينجح في القفز منها سوى أحد الجنود...».

أما الجندي دوف من سلاح الدبابات فيَروي: ... «لقد أُصبت بصدمةٍ حين رأيت قائد الدبابة يتخبّط في دمه. فقدتُ السيطرة وصرخت: «أنجدونا أنجدونا»، ولكن لم يجب أحد. كان الجهاز اللّعين معطلاً. كنت أريد أن يأتوا وينقذوه، فالمشهد كان رهيباً وكنت أصرخ: «لا أريد البقاء هنا لا أريد البقاء هنا، أرجوكم كفى...»».

ويقول الرقيب موشي موشيكو من لواء غولاني: «دخلنا عند حلول الظلام شارعًا ضيّقًا وواجهنا نيراناً كثيفة من موقع محصّن، فدُمرت المدرعة الأولى في الرتل وسُدّت الطريق وتراجعنا تحت وابل النيران، لكننا حددّنا موقعهم للدبابات ولمدافع الهاون ليتمَّ تدميرهم. بعدها إضطُررنا للزحف من دون إسنادٍ، وتسلّلنا من خلف الموقع ورمينا قنابل يدوية، فتفاجأنا حين ظهر من داخله طفلان لم يتجاوزا الرابعة عشرة من يحملان رشاشات كلاشينكوف وقاذفات «آر بي جي» ...».

أما الجندي دافيد وهو رامي دبابة فيتذكّر قائلاً: «...طلب مني صديقي من أفراد الطاقم ان نُطلق قذيفة على سيارة تاكسي تسير أمامنا، لكنني عارضت ذلك وقلت انهم مدنيّون أبرياء. وبينما نحن نتجادل داخل الدبابة أطلقت أربع قذائف «آربي جي» نحونا فأُصيبت دبابتنا وأُعطبت... وكنت الوحيد الذي نجا».

فلسطينيون بين عمر ١٢ و ١٦ سنة واجهوا دبابات «لواء غولاني»

ويروي روني أحد ضباط لواء غولاني: «...فجأة إنقلبت إحدى دباباتنا بعد اصابتها بقذيفة وبدأت تشتعل، ثم أُصيبت دبابة ثانية وتلتها ناقلة مدرّعة. أوقفت الآلية التي استقلّها ونزلت منها لإخلاء الجرحى... بعد ساعتين، طلبوا منّا إنقاذ ثلاث دبابات محاصرة في مدخل المخيّم أحدها بقيادة قائدنا... أخذت معي بعض الجنود وتقدّمنا لإنقاذهم. لقد كانت الدبابات تشتعل وطاقمها مصاب، أما قائدنا فكان قد قُتل... وبينما كنّا نقوم بإخلاء الجرحى، شعرت بحرارة شديدة وألمٍ حادّ في وجهي وسقطت داخل المدرعة التي أُصيبت بقذيفة، فسحبني الجنود الى الخارج والدماء تنزف مني، وألقوا بي تحت جذع شجرة... لم أكن أستطيع الكلام، وظننت أنهم سيتركونني هناك أو أنهم إعتقدوا أنّني ميت. لقد أُصبت بالرعب...».

ويقول يشعياهو وهو نقيب في سلاح الدبابات: «كان الدخان لا يزال يتصاعد من إحدى دباباتنا... وأبلغونا أن قائد الرتل الملازم أول مئير قد قُتل، أمّا مساعده الملازم أول روني فهو مُصاب ويحتاج الى مساعدة طبيّة... معظم الآليات كانت قد دُمّرت خلال عمليات إخلاء للقتلى والجرحى. لم أُدرك حقيقة الوضع الآحين أُصيبت إحدى دباباتي، لكنّ طاقمها نجح في القفز منها بإستثناء أحد الجنود الذي سقط يتخبّط في دمائه. بعدها أُصيب الجنديّان الآخران ودُمّرت الدبابة التي كانت خلفي. وعندما لم نعد نستطيع تحديد مواقع النيران وبات الجنود يردّون بقصف



أطلق الجنود الإسرائيليون عل المقاتلين الصغار إسم: أطفال الـ «ب ٧»

عشوائي، أدركت ان الفوضى عمّت، فأصدرت أمراً بالتراجع قليلاً لتنظيم صفوفنا...».

ويروي الملازم أول جيل أغمون قائد وحدة دروع: «خرجنا من منطقة حانيتا متّجهين نحو الهدف. في الطريق تعرّضنا لكمائن عدّة فأطلقنا النار والقذائف على الأهداف التي تصدر منها النيران. تقدّمنا ببطىء وحين وصلنا الى مفترق الطرق، قمنا بإخلاء القتلى والجرحى بمن فيهم القائد، برتبة نقيب، الذي أُصيبت دبابته وقُتل فتَوليّت القيادة مكانه... لم يبقَ معي سوى خمس دبابات وثلاث ناقلات مدرّعة وكانت الأوامر بالتوجّه الى الرشيدية لدعم القوات المحاصرة. وكانت أكبر مشكلة تواجهني هي تحديد مصادر النيران، لذا أمرت الجنود بإطلاق نار عشوائي في جميع الاتجاهات والتقدّم بسرعة، إلا أننا وقعنا في كمين مُحكم واكتشفت أن جهاز الإتصال قد تعطّل فأصيبت دبابتان إصابة مباشرة. لم أعد أدري ماذا أفعل، لم يكن بوسعي إنقاذ رفاقي، كان الأمر مستحيلاً... فجأة أصيبت دبابتي إلا أنني تمكّنت من الزحف خارجًا والدماء تنزف مني، ورأيت العدو وكانوا فتيانًا صغارًا لكنّي لم أستطع أن أسحب مسدسي وأضغط على الزناد... إنها معركة لن أنساها ما حييت...».

الفلسطينيون إعتمدوا كليًا على قاذفات الـ «آر بي جي»

إستمرَّ القتال في مخيم الرشيدية أربعة أيام، ولجأ الجيش الإسرائيلي الى الفصل بين أجزاء المخيم وتهديد المقاتلين بمكبّرات الصوت ومطالبتهم الإستسلام، وسقط للإسرائيليين ٢١ قتيلاً و٩٥ جريحًا.

على الرغم من صمود قلعة الشقيف ومخيّمي عين الحلوة والرشيدية، أدرك عرفات أن هذه الحرب ستشكّل منعطفاً كبيراً في الثورة الفلسطينية...

تفاجأ عرفات كثيراً ببرقية من الجنوب تنبؤه بأن «القوات الإسرائيلية تعدَّت صور شمالا وبسرعة»، ونَقَلَ عنه جورج حاوي قوله: «ده مش ممكن، لا مستحيل»، واتّصل بالحاج إسماعيل ليستفهم منه عن الأوضاع، إلا أن الحاج كان منشغلاً بإخراج القوات الفلسطينية من صيدا بعد محاصرتها من قِبَل الإسرائيلين.

صُعق أبو عمار لانهيار الدفاعات الفلسطينية في الجنوب إمتداداً الى بيروت، رغم أنها كانت محصّنة ومتَّصلة ببعضها البعض، لكن لانهيارها بشكل سريع أسباب عدَّة أبرزها:

١- إنسحاب إسماعيل جبر «الحاج اسماعيل» ومعهُ ٢٠٠٠ مقاتل الى بيروت والبقاع.

٢- القصف الاسرائيلي العنيف.

٣- سقوط بعض المدن مثل صيدا قبل صور ما أثَّر بشكل كبير على القوات المشتركة في صور.

٤- عدم اشتراك السوريين في المعارك قبل تهديد طريق بيروت - دمشق ومنطقة البقاع، إذ إنحسرت المواجهات القاسية بين السوريين والاسرائيليين في منطقة البقاع، ومع القوَّة الإسرائيلية التي كانت مُتَّجهةً الى ضهر البيدر. وقد شارك في المواجهات الى جانب الجيش السوري جيش لبنان العربي والقوات المشتركة...



الدبابات الإسرائيلية تكبَّدت خسائر أثناء الهجوم على المخيمات

معارك الجية والدامور

نجح الفلسطينيون في بلدة الدامور الساحلية في تضليل الإسرائيليين، عندما انسحبوا الى داخل الحارات وكمنوا في البنايات بعدما امتصوا الضربات الأولى... إعتقد الإسرائيليون ان الإنسحاب كان كاملاً، فتوغّلوا بين المنازل وفي شوارع البلدة، وفجأة انقضّ عليهم الفلسطينيون ودارت أعنف المعارك، واعترف العقيد الاسرائيلي يهوشع ايلاتي في الدامور بخسارة عدد من المدرعات وسقوط قتلى وجرحى في صفوف قوّاته.

ويروي النقيب سعد الدين (أبو عصام)، قائد سرية من قوات الـ ١٧ الفلسطينية: «وصلنا الى الدامور بالسيارات، وجَمَع العقيد عبد الله صيام قادة المجموعات والفصائل، وتمّ تشكيل مجموعات من ٦ أفراد رابضت على مدخل الدامور في الشارع العام وعلى جميع الأبنية، وشرح صيام خطة الدفاع في حال تقدّم العدو. أما القوات المحاذية لنا فكانت من جيش التحرير بقيادة قائد المنطقة العقيد خالد سلطان».

ويتابع النقيب سعد الدين: «قبل تقدّم القوات الإسرائيلية إلى الدامور، تصدّت لها القوات المتواجدة في الرميلة والجيّه حيث شاهدنا معركة على جسرٍ أول الدامور يبعد حوالي ٣ كلم جنوب البلدة، لهذا كنّا مستعدّين لتقدّم العدو ...».



مدرّب فلسطيني يشرح للمقاتلين أهميّة قاذفات الـ «آر بي جي»



إحدى الدبابات الإسرائيلية التي دُمّرت في الدامور

أمّا الرائد مصطفى الذي سقط في الجية، فكان قد بعث قبل مقتله بتقرير عن المعارك يقول فيه: «تحرّكتُ مساء الأحد ٦ تموز على رأس فصيل من بيروت، وتوجّهتُ إلى مقرّ كتيبة النقيب أبو شامخ في الناعمة، ونشرتُ المجموعات في مواقع قتالية... صباح الاثنين، وبعد أن نجح العدو في الإنزال على جسر الأولي تحرّكت قوّاته شرقًا، بهدف الالتفاف حول مدينة صيدا وتطويقها... وفجأة غيَّر العدو إتجاهه نحو الشمال، فأمرتُ بوضع ألغام على الجسر الواقع بين صيدا والجيه، وهو الجسر الذي كان يقع بين الطريق القديم والأتوستراد الجديد، وكذلك على الطريق المؤدية إلينا، ولغّمنا الجسر الآخر الذي يبعد عن جنوب شرق الدامور ثلاثة كيلومترات، كما وضعنا فصيلاً على هضبة مرتفعة مجاورة للجسر... وفعلاً بدأ تقدّم الدبابات تسبقها سرية مشاة، وما إن وصلت بعض المجموعات إلى منتصف الجسر، حتى بدأنا بتفجير العبوات بالأسلاك الكهربائية، وأمطرناهم بوابل نيراننا، ثم دمّرنا بقذائف الـ «آر بي جي» ثلاث آليات كانت تبعد ٣٠٠ متر عن الجسر... إستمرَّت المعركة ثلاث ساعات متواصلة، وبدأ العدو بقصفنا بشدّة، وقام بتمشيط المنطقة فسقط لنا في هذه المعركة أربعة شهداء وثمانية جرحى، وتوقّف التقدّم بعدما دمّرنا للعدوّ ستّ دبابات وثلاث ناقلات جند وقُتل لهم عدد من الجنود...».



كمائن في الدامور

أما في الجانب الإسرائيلي، فيقول أحد ضباط اللواء المدرَّع برّاق: «لقد تمَّ إنزال اللواء من البحر إلى شمال صيدا، وصدرت الأوامر إليه باحتلال الدامور. وخلال المعارك في ضواحي ومداخل الدامور تمّ إرسال كتيبة من قوات غولاني ووحدات دروع من ألوية أخرى لنجدته. كانت الخطّة تقضي بتقسيم اللواء إلى قوّتين- القوَّة الأولى، عليها التقدّم شمالاً نحو الدامور عبر طريق الساحل بيروت - صيدا، بقيادة الرائد آفي مرجي، والقوّة الثانية، بقيادة المقدّم يوئاف، وعليها سلوك طرقٍ وعرة من جهة الشرق بحيث تقوم بعملية التفاف وتلتحم عند الهدف مع القوّة الأولى».

ويتابع برّاق: «قبل ظهر السابع من حزيران، تقدّمت القوَّة الأولى بثلاث دبابات ترافقها أربع ناقلات جنود ببطء وحذر، وقبل أن تصل إلى جسر الدامور توقّفت ونزل منها قادتها بانتظار صدور أوامر جديدة... أما القوة الثانية، فتوقّفت على بعد حوالي مئتي متر من جسر صغير. أصدر قائدها أوامره لبعض الجنود من السرية الأولى بالنزول لاستطلاع الجسر. تقدّم أربعة جنود بحذر، شاهرين أسلحتهم، وعندما أصبحوا فوق الجسر، دوّى إنفجار ضخم هزَّ المنطقة، فقد وضع رجال المنظّمات عبوات ناسفة فجّروها عن بُعد وقُتل ثلاثة جنود على الفور، أما الرابع فأصيب بجروح خطيرة، وبقي مُلقى في المكان والدماء تنزف منه. في هذه اللحظة، بدأت قذائف مدفعية الهاون وصواريخ الكاتيوشا تتساقط على مقربة من القوّة، وخلال ثوانٍ تحوّلت المنطقة إلى كتلة من

اللَّهب... وبعد أن أُصيبت الدبابة الأولى إصابة مباشرة من قذيفة مدفع، أصدر القائد أوامره للقوَّة بالتراجع والردّ بإطلاق نيران كثيفة من الدبابات... وطلب إرسال طائرات لقصف مصادر النيران وتمهيد الطريق أمام تقدّم القوّة، فانقضَّت ٦ طائرات على المواقع الفلسطينية التي كانت تتمركز في أعالي التلال الشرقية والشمالية قبل أن تعاود القوّة تقدّمها للشمال الشرقي. أما الجندي الذي أصيب بجروح خطيرة فوق الجسر، فقد مات متأثرًا بجراحه، وقد جرى إخلاء جثث الجنود الأربعة في ما بعد...»

ويروي الجندي يغئال في شهادته: «... في الضاحية الجنوبية من الدامور، أُصيبت ملالتنا بالقذائف المضادة للآليات، وسقط بول سائق الملالة على الفور، أمّا الجنود الآخرون، فقفزوا منها... بقيت وحدي، وقد حاولت إخراج بول لكنّه كان مقيَّدًا ولم أستطع تحريكه. كان مغطًّى بالدماء تمامًا، وحينما تأكدت أن لا أمل لي في إخراج جثته، تأهَّبت للقفز من الناقلة، فتلقّيت رصاصة من سلاح متوسّط. سقطتُ أتخبَّط بدمائي داخل الناقلة. كان كل شيء يشتعل... حاولت أن انهض لكني سقطت ثانية... وفجأة أحسست بأن أحدهم يسحبني بعنف من داخل الملالة التي كانت على وشك أن تنفجر، لم أحسن رؤية وجه ذلك الرجل الذي أنقذ حياتي، لقد كان جنديًا رائعًا دون شك، وحتى اليوم أنا لا أعرفه لأنه لم يُقدّم نفسه لي بعد ذلك. لقد كنت أسمع صوت الرصاص يمرُّ من فوقي، وكنت ألمح ظلالاً تتحرَّك أمامي، وكانت أصوات الإنفجارات الهائلة تهزّ المكان...


الفلسطينيون توزَّعوا مجموعات صغيرة لنصب الكمائن

فقدت الوعي للحظات... ثمّ أفقت لأجد نفسي فوق الحمّالة وجنود يركضون والدماء لا تزال تنزف مني، وكنت أتوسَّل ذلك الممرض كي يعطيني حقنة مخدّرة تسكّن آلامي الشديدة. بعد حوالي الساعة كنت أرقد فوق السرير في مستشفى «رامبام» في حيفا، نظرت من حولي فرأيت الكثير من الجرحى يتألمون... وكنت أسمع أصوات النساء وهنّ يبكين ويصرخن في الخارج، والأطباء والضباط يعملون على تهدئتهنَّ، كل شيء كان مخيفًا من حولي حتى ذلك المستشفى، مشاهد مخيفة تلك التي كانت أمامي، دماء، جثث.. روائح كريهة، جرحى يبكون... وعندما إستطعت النهوض من السرير والوقوف على قدميّ، أقسمت على ألا أعود ثانية إلى تلك البلاد (بلاد الأرز) حيث مجموعة المجانين».

ويقول جندي آخر: «بعد أن صدرت الأوامر، بدأت القوَّة الأولى بالتقدّم في طريق الساحل الغربية... توقَّفت القوّة وأصدر الرائد آفي أوامره لمجموعة من الجنود بالترجّل والتقدّم نحو شاحنة مشبوهة لاستطلاع الأمر على أن يقوم بتغطية تقدّمهم بدبابتين: الأولى كانت دبابته، والثانية لصديقه الملازم أول ينير جندلسمن، ولكنّ الصمت المشوب بالتوتّر الشديد تمزَّق فجأة عندما إنطلقت قذيفتا «آر بي جي» فأصابت الواحدة تلوَ الأخرى دبابة الملازم أول ينير إصابة مباشرة، فيما أصابت ثالثة الدبابة التي كانت خلف دبابة ينير وبدأت النيران تأكل الدبابتين. أما الرائد آفي فقد نجح في الإفلات والدخول في حفرة كانت بجانب الطريق، وبدأ يصرخ على جنود



دبابة الميركافا كانت صيداً لقاذفات الـ «ب ٧»

القوّة «إنه كمين- تراجعوا نحو الخلف». وبينما هو يتابع صراخه، أصيبت دبابة ثالثة ومدرعة ولم يستطع القائد آفي وجنوده تحديد مصادر النيران وإسكاتها أو الردّ عليها، ذلك لأنَّ الإصابات في صفوف القوّة كانت متتالية وسريعة، ويبدو أن أفراد الكمين كانوا قريبين جدًا من القوّة بحيث لم تُخطئ قذائفهم المضادّة للآليات أهدافها، فكلّ قذيفة كانت تُصيب هدفها إصابة مباشرة وعمَّت الفوضى في صفوف القوّة، وانشغل الجنود بإخلاء القتلى والجرحى، خاصة الذين كانوا ما زالوا داخل دباباتهم المشتعلة، قفز الرائد آفي من دبابته وحاول الركض تحت النيران نحو دبابة الملازم أول ينير التي كانت لا تزال تشتعل، وذلك للتأكّد من سلامة صديقه وأفراد الطاقم المرافق (السائق والمدفعجي وجندي الاتصال) داخل الدبابة، لكن قذيفة «آر بي جي» ثالثة قضت على محاولته إذ أصابت الدبابة المشتعلة ففجَّرتها وتطايرت قطعًا صغيرة. وقد ألقى الرائد آفي بنفسه أرضًا... وتبيَّن له في ما بعد أن جميع أفراد طاقم الدبابة بمن فيهم الملازم أول ينير قد قُتلوا في دبابتهم التي تفجَّرت، أما طواقم الدبابات والمدرعات الأخرى المشتعلة فقد نجحوا في القفز منها وقد أُصيب بعضهم بجراح... لم يكن بإمكان المروحية التي خُصّصت لنقل الجرحى من أرض المعركة الهبوط في تلك المنطقة، فالنيران كانت تُطلق من جميع الجهات... لذا فقد كان على القوّة أن تقوم بنقل قتلاها وجرحاها إلى الخطوط الخلفية، وأجرى الرائد آفي اتّصالاً بواسطة جهاز الإرسال بالمقدّم يوئاف ليطلعه على ما حصل للقوّة».

الملازم الأول يوسي من القوة الأولى يصف معارك الدامور بقوله: «عندما حلَّ الظلام، توقّفنا عن التقدّم نحو الدامور، فنحن لا نستطيع أن نخوض قتالاً ليليًا هناك، لأنَّ كل شيء كان مخيفًا من حولنا... بدأنا نتحدّث عن الضباط والجنود الذين قُتلوا أو جُرحوا خلال معارك اليوم، وقد تألم كثيرون لمقتل الملازم أول ينير الذي كان شابًا رائعًا. في هذه الليلة لم ينم أحد، الجميع كانوا قلقين جدًا في هذا الجوّ المشحون... فالموت على بعد خطوات منّا وعلى المرء أن يقاتل أحيانا لا لشيء إلا من أجل البقاء حيًا... تعرَّضنا خلال الليل لأكثر من هجوم، كان أحدها مؤثرًا وجريئًا وسبَّب لنا بعض الإصابات. وعند الفجر صعدنا إلى دباباتنا ومدرعاتنا وحين أعطى الرائد آفي أمرًا بالتحرّك إنطلقنا نحو الدامور... ولكن قبل الوصول إلى مداخل البلدة، كان علينا أن نخوض معارك شرسة مع مواقع وكمائن لرجال المنظّمات، فكلّ تلك المناطق القريبة من الدامور كانت مزروعة بالكمائن، وكانت هناك دبابات ومدافع فلسطينية اتّخذت مواقع لها في التلال المحيطة خاصة من الجهتين الشرقية والجنوبية، وكانت تُطلق نيرانها من دون توقّف... لم يكن بإمكاننا الإقتراب أكثر من الدامور، أولاً: بسبب النيران الفلسطينية الكثيفة التي نواجهها، وثانيًا بسبب إستمرار القصف الجوي والأرضي على البلدة والضواحي لتمهيد الطرق أمامنا... حين توقَّف

القصف الجوي والبحري طُلب منَّا التقدّم لاحتلال البلدة... ولكن من وراء كل شجرة وكل صخرة، مِن وراء كل منزل كان يخرج علينا فدائي. لقد بدأنا نُطلق النار من دباباتنا ومدرَّعاتنا في جميع الاتجاهات، لكنهم كانوا يتمترسون جيداً، لقد كانوا بانتظارنا واتَّخذوا لهم مواقع جيدة في الوقت الذي كانت فيه دباباتنا ومدرعاتنا مكشوفةً تماماً لهم... فجأة كان يخرج رجال مسلحون بمدافع مضادّة للآليات من مواقع لم نكن نراها أو نشعر بوجودها، وكانت دباباتنا أهدافاً سهلة جداً لهم، وهل يُخطئ من يرمي دبابة بقذيفة مضادة عن بعد أمتار معدودة؟!».

ويضيف يوسي: «تمكَّنت الدبابات، التي كانت مدافعها تعمل بصورة مستمرة ودون توقف، من الإحتماء وتدمير بعض السيارات العسكرية لرجال المنظّمات التي كانت تحمل مدافع رشاشة ثقيلة أو مجموعات من الرجال المسلَّحين، لكنَّنا كنا ندفع الثمن أيضاً. إن طبيعة الأرض هناك لم تكن تساعدنا وكانت دباباتنا ومدرعاتنا تحترق الواحدة تِلوَ الأخرى... إستطعنا الاحتماء خلف دباباتنا المعطوبة ومتابعة إطلاق النار... فإنسحابنا الى الخلف كان يعني تدميرنا تماماً لأننا كنا مكشوفين، وبقاؤنا في مواقعنا لم يكن يساعدنا في النجاة أو إنقاذ الآليات من التدمير، فما كان علينا القيام به في هذه الحالة هو الاستمرار في التقدّم مع تكثيف النيران. لذلك أطلقنا نيراناً كثيفةً لاعتقادنا بأن ذلك سيُساعدنا في السيطرة على الوضع... قلت للقائد آفي بأن عليه طلب



ملالة إسرائيلية تمرُّ في شوارع مدمَّرة في المنطقة الساحليَّة

النجدة، وإذا لم تصلنا قوّات جديدة فلن تخرج لنا دبابة واحدة من هذا المكان... الدبابة التي كانت أمامي أصيبت إصابة مباشرة وتلتها ناقلة مدرَّعة كانت خلف دبابتي وكانت تقلّ جنودًا من سلاح الهندسة. قفز بعض الجنود منها وركضوا تحت زخَّات الرصاص نحو الشاطئ للاحتماء هناك، وكان العشرات من الجنود الذين نجحوا في القفز من دباباتهم وناقلاتهم التي أصيبت قد أخذوا لهم مواقع يحتمون بها إلى الغرب حيث الشاطئ، وكانوا يطلقون نيرانهم من الأسلحة الخفيفة والمتوسطة التي بحوزتهم لكنَّهم أيضا لم يَسلموا من نيران القنَّاصة الفلسطينيين. وقد أُصيب عدد منهم بجروح، ولم يستطع أطباء وممرضو القوة إسعاف الجرحى وإنقاذ حياتهم بسبب النيران الغزيرة والشظايا المتطايرة... لقد استمرَّ إطلاق النار لأكثر من ساعة قبل أن تصلنا نجدة قوّات غولاني... وبدأ الفلسطينيون بإطلاق صواريخ ميلان وكاتيوشا وغراد حيث تحوَّلت المنطقة بكاملها إلى كتلة من لهب، وأول دبابة أُصيبت في هذه اللحظة كانت دبابة القائد آفي».

أما الضابط آفي فيقول: «عندما أُصيبت دبابتي سقطت بالداخل وشعرت بأن اللَّهب يلفّني من كل ناحية. كان كلّ شيء ساخنًا جدًا. لم أر شيئًا باستثناء دماء كثيفة داخل الدبابة وجندي يصرخ بصورة هستيرية. إستطعت بصعوبة أن أقفز من داخل الدبابة وألقيت بنفسي أرضًا. المدفعجي كلفهوتس نجح هو الآخر بالخروج والسائق أيضا. وقام كلفهوتس بتضميد جروحي، لم أكن قد فقدت وعيي بعد، سألت عن الجندي يوسي ليفي الذي كان معنا، وركضت نحو الدبابة كالمجنون، تسلّقتها وهي تشتعل فرأيته بداخلها وكان ميتًا. حاولت إخراجه فلم أستطع. لقد كان مقيّدًا. وصرخت طالبًا المساعدة، ولم ننجح في إخراج الجثة وكانت الدبابة على وشك الإنفجار وقد شدَّني أحدهم من الخلف وصرخ بأنني أصبت ثانية وبعد أن مزَّق الممرّض ملابسي شعرت بأنني أُصبت بشظايا في ساقي وكانت دماء كثيفة تنزف مني. لحظات قليلة مضت وفقدت وعيي تمامًا ولم أعد أشعر بما يجري من حولي».

ويروي الملازم أمير: «تمَّ إنزال وحداتنا من البحر وأُمرنا بالتوجّه نحو القطاع الشرقي للسيطرة على طريق بيروت - دمشق، لكن سرعان ما صدرت الأوامر من الرائد دان بالإتجاه نحو الدامور... كانت الساعة الثالثة بعد الظهر والطائرات تقصف أهدافها. فجأة إصطدمنا بتجمّع للدبابات جنوب الدامور... صبّت نيرانها علينا فأصيبت دباباتان وقُتل إثنان من رفاقنا. بدأنا بالردّ على مصادر النيران حيث استطعنا اصطياد خمس دبابات بسهولة فيما لاذت الأخرى بالفرار شمالاً فتسابقنا لقنصها... لم نكن نعلم أن تلك المنطقة مزروعة بالكمائن، وفجأة إشتعلت النيران في دبابة أمامي، وتمكَّن طاقمها من القفز منها ثمَّ أصيبت دبابة أخرى وقُتل ثلاثة من أفرادها، وفقدنا في أقلّ من ربع ساعة عددًا من الدبابات قبل أن تُصاب دبابتي بثلاث قذائف «آر بي جي»،

إخترقت البرج وأُصبنا جميعنا وقُتل بعض الجنود وتمكّنتُ من القفز على الرغم من أن جسدي كان مليئًا بالشظايا».

وعن معارك الساحل يقول شارون في مذكراته: «في السابع من حزيران، واجهت قوّاتنا المتقدّمة على طول السهل عقبات جسيمة، إذ راح الإرهابيون المختبئون في أماكن مأهولة يستخدمون السكّان كرهائن ودروعًا. لذا وَجدت الوحدات الاسرائيلية نفسها مجبرةً على تخفيض قوّة نارها في هذه المعركة التي دارت بين البيوت فتكبَّدت وحداتنا مزيدًا من الخسائر ولم تتمكّن من احترام مواعيد العملية... درسنا المشكلة، خلال إجتماع عُقد في مركز قيادة القطاع الشمالي، وكان هناك رأي يقول: «بدلاً من احتلال المنازل، بإمكان الطائرات تدمير المباني الواقعة على امتداد محور تقدّمنا، فتصبح الطريق سالكة من دون تكبّد خسائر. لكنَّ مثل هذا التكتيك سينجم عنه أعداد هائلة من الضحايا المدنية...». شارك في الإجتماع قادة الفرق، وعدد كبير من ضباط الأركان تعود معرفتي بهم الى زمن بعيد، الى أيام ساحة المعركة. عهدتهم من خيرة الضباط، محاربين بالفطرة. كانوا يعرفون خير معرفة الثمن الذي سندفعه في الغد اذا لم نقرّر اللجوء الى القصف الجويّ لفتح الطريق أمامنا، ثمنًا سيكلّفنا حياة رجالهم وضبّاطهم، وربّما حياتهم. وفيما نحن في خضمّ المناقشة وصلتنا رسائل من الجبهة اطلعتنا على آخر التطورات مما زاد من حدّة التوتر».



شارون وإيتان يتابعان عمليات الجيش في قطاع الساحل

معارك سوريا وإسرائيل

الأسد يحشد الصواريخ والمدرَّعات

في الثامن من حزيران، وصل الإسرائيليون إلى مسافة خمسة كيلومترات جنوب الدامور. وفي منطقة جزّين، هاجمت المصفَّحات السورية والفلسطينية القوات الإسرائيلية التي توغّلت مسافة ٢٠ كيلومترًا في العمق مهدّدة السيطرة السورية على طريق بيروت.

يقول شارون في مذكّراته: «...كانت الجبهة السورية أكثر تعقيدًا، لأننا كنّا نريد تفادي حرب شاملة مع السوريين مهما بلغ الثمن... كنا نعلم أنَّهم استلموا من السوفيات صواريخ فروغ وسكود، التي بإمكانها بلوغ المراكز المدنيّة في اسرائيل، وكنا نريد تفادي تدخّل السوفيات... بعثنا سلسلة رسائل واضحة الى السوريين، شارحين فيها نيّتنا عدم التعرّض لهم محدّدين هدفنا بإقصاء الفلسطينيين المختبئين في قطاعهم حتى مسافة أربعين كيلومترًا، وبأنَّ عملنا سيكون مرتهنًا بردّ فعلهم... قدّمتُ ورئيس الأركان رفاييل إيتان، الى بيغن إقتراحين: الاول، في حال هاجم



الرئيس الأسد كثَّف بطاريات الصواريخ

السوريون الجيش الاسرائلي وألحقوا به أضرارًا سيتمّ العدول عن الخيار الأساسي بتفادي المواجهة معهم وستُضرب قوّاتهم. أمّا الثاني فتمثّل بإرغامهم على إخلاء القطاع عن طريق إرسال رتل «تساحال» المؤلل الى الشمال ثم الى الشمال الشرقي وراء مؤخرتهم. عندها قد يخاف السوريون من مباغتتهم من الوراء، ويقرّرون العودة أدراجهم، لكنّ مثل هذه المناورة تتطلّب عبور خط الأربعين كيلومترًا، وهذا قرار تتّخذه الحكومة».

وافق بيغن، على القيام بالمناورة الهادفة الى بلوغ خطوط السوريين الخلفيّة، وطلب من شارون عرض الاقتراحين على مجلس الوزراء ...أخبر شارون الوزراء في الجلسة أن المرحلة الأولى من العملية جرت وفق جدول أعمال محدَّد وهو: «إقصاء الإرهابيين من كل مكان، ما خلا البقاع، الى ما وراء منطقة الأربعين كيلومترًا، وذلك في غضون الأربع والعشرين ساعة المقبلة...». في ختام ذلك الإجتماع وافقت الحكومة الإسرائيلية على تقدّم قواتها شمالاً، وأعطى شارون تعليماته لرئيس الأركان بـ «تطهير الطريق الساحلية الممتدّة حتى الدّامور، التي تشكّل قاعدة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، التابعة لجورج حبش. ومن هناك يتعيّن على الرتل التوجّه الى الشمال الشرقي، نحو طريق بيروت - دمشق، والإنعطاف وراء الخطوط السورية. وفي القطاع الأوسط يتقدّم رتل آخر شمالاً، ساعيًا الى شقّ محور إضافي على طول الجناح السوري. وفي غضون ذلك ترابض وحدات القطاع الشرقي على خط حاصبيّا، في انتظار نتائج هذه المناورات».


شارون وإيتان قرّرا المناورة خلف خطوط السوريين

أرسل الرئيس الاسد فجر ٨ حزيران «علي أصلان» إلى لبنان لتقييم الوضع، فاكتشف الأخير ان هدف إسرائيل هو طرد الجيش السوري من لبنان وشنّ حرب ضده وضد المنظمة وتدمير قواعد الصواريخ، ولم يعد منطقياً بالنسبة للسوريين ترك القوات الإسرائيلية تتقدَّم على المحور المركزي لقطع طريق بيروت - دمشق. ظنّ بيغن ووزراؤه أن الجيش السوري سينسحب من المعركة عندما يرى الجيش الإسرائيلي يتقدّم، لكن سوريا تحرَّكت في اتجاه معاكس وأدخلت في اليوم ذاته الى البقاع ست منصّات إطلاق صواريخ سام-٦ لوضعها الى جانب المنصّات الموجودة منذ فترة. إضافة الى ذلك، أقلعت مقاتلات سوريّة للمرَّة الأولى لشنّ هجوم على القوات الاسرائيلية المرابضة في محيط صيدا، وأفادت الإستخبارات الاسرائيلية المسؤولين «أن الإحتياط الإستراتيجي السوري المتمثّل بالفرقة المدرعة الثالثة البالغ عدد دباباتها مائتين وخمسين، هو على استعداد لعبور الحدود اللبنانية فورًا»، ووردت الى الإسرائيليين معلومات أكيدة مفادها «أن الطيران السوري قد تلقّى أمرًا بالهجوم على قوَّاتهم أثناء تقدّمها في القطاع الأوسط. أما فوج الدبابات السورية، الذي تسانده وحدات من المشاة، فقد شوهد وهو يتقدّم في اتجاه الجنوب - الشرقي، في منطقة جزين، حيث توفّر الطريق الضيّقة الوحيدة شروط دفاع مثلى».



مروحيّة «غازيل» سورية دُمّرت في البقاع

السوريون قرَّروا المواجهة
شارون أيقظ بيغن والأسد أرسل أصلان

شهد يوم ٨ حزيران ١٩٨٢ إشتباكًا جويًا إسرائيليًا سوريًا للمرة الاولى، وبينما أفاد الجيش الإسرائيلي عن سقوط ٦ طائرات سورية، أعلنت قيادة الأركان السورية عن إسقاط ٥ طائرات إسرائيلية وخسارة ثلاث مقاتلات سورية سقطت إحداها في منطقة كسروان وهي من نوع «ميغ ٢٣»، وأسرت القوات اللبنانية ملاَّحها الذي أعاده بشير الجميل في اليوم نفسه الى السوريين، الأمر الذي أثار إمتعاض الإسرائيليين لأنَّهم كانوا يحتاجونه لتبادل الاسرى... وكانت الطائرات الاسرائيلية قصفت محطتَي رادار، الأولى بجانب الدامور والثانية في أعماق المنطقة السورية بجانب مطار «رياق» شمالي طريق بيروت - دمشق. أما الصدفة فكانت إصابة مجنزرة سورية بالقرب من صيدا وتفاجأ الجنود الإسرائيليون من وجود جنود سوريين قتلى وجرحى في داخلها.

وفي صباح ذلك اليوم، كانت القوات الإسرائيلية وصلت الى الصرفند وسيطرت على حاصبيا وتقدَّمت باتّجاه الساحل حتى الجسر القديم على نهر الاولي شمال مدينة صيدا. وبدأ الجيش الإسرائيلي بالتقدّم نحو الطريق الرئيسي بين بيروت ودمشق مخترقًا منطقة الشوف بسرعة ومن دون مقاومة، فعندما حاولت ثكنة الجيش اللبناني في بيت الدين إيقاف التقدّم الاسرائيلي، تعرّضت لقصف عنيف، فاستسلمت بعد سقوط جرحى بداخلها. وأكمل الجيش الاسرائيلي طريقه عبر منطقة جزين ووصل الى عين دارة بعدما قصف تجمّعًا سوريًّا في بعقلين ودمَّر ١٨ آلية سورية... كما قصفت الطائرات الاسرائيلية الآليات السورية في المختارة، فأحرقت ٢٥ شاحنة وعطَّلت ٢٠ آلية، ودخل الجنود الإسرائيليون قصر جنبلاط لكنَّهم خرجوا منه بعد مفاوضات مع المشايخ، وطلبوا من الأهالي جمع الأسلحة...

وكانت قوة إسرائيلية توجَّهت الى بيت الدين نزولاً حتى الساحل، وتوجَّهت قوة أخرى الى مثلَّث المختارة - الباروك - عين زحلتا ونبع الصفا حتى عين دارة... وأنزل الإسرائيليون قوة مجوقلة في منطقة رادار الباروك، وذلك بعدما كانت الحكومة الاسرائيلية وافقت صباحًا على فتح محور تقدّم ثالث في اتجاه الشمال، للهجوم على السوريين من الخلف وإجبارهم على إخلاء البقاع... كما فوّضت الحكومة الاسرائيلية رئيسها مناحيم بيغن نقل النقاط التالية الى الرئيس الأسد عبر فيليب حبيب: «- لا نريد الحرب مع سوريا.

- نرجو منكم إصدار أمر الى جيشكم يقضي بعدم إطلاق النار على رجالنا، فجنودنا لن يهجموا على جنودكم إذا لم يَلحق بهم أذى.

- أطلبوا من جيشكم الإنسحاب من الجنوب بإتجاه الشّمال حيث كان معسكرًا قبل إنطلاق حملتنا.

- أطلبوا من الإرهابيين التراجع مسافة خمسة وعشرين كيلومترًا في اتجاه الشمال ممّا سيقصيهم عن الحدود مسافة أربعين كيلومتراً.

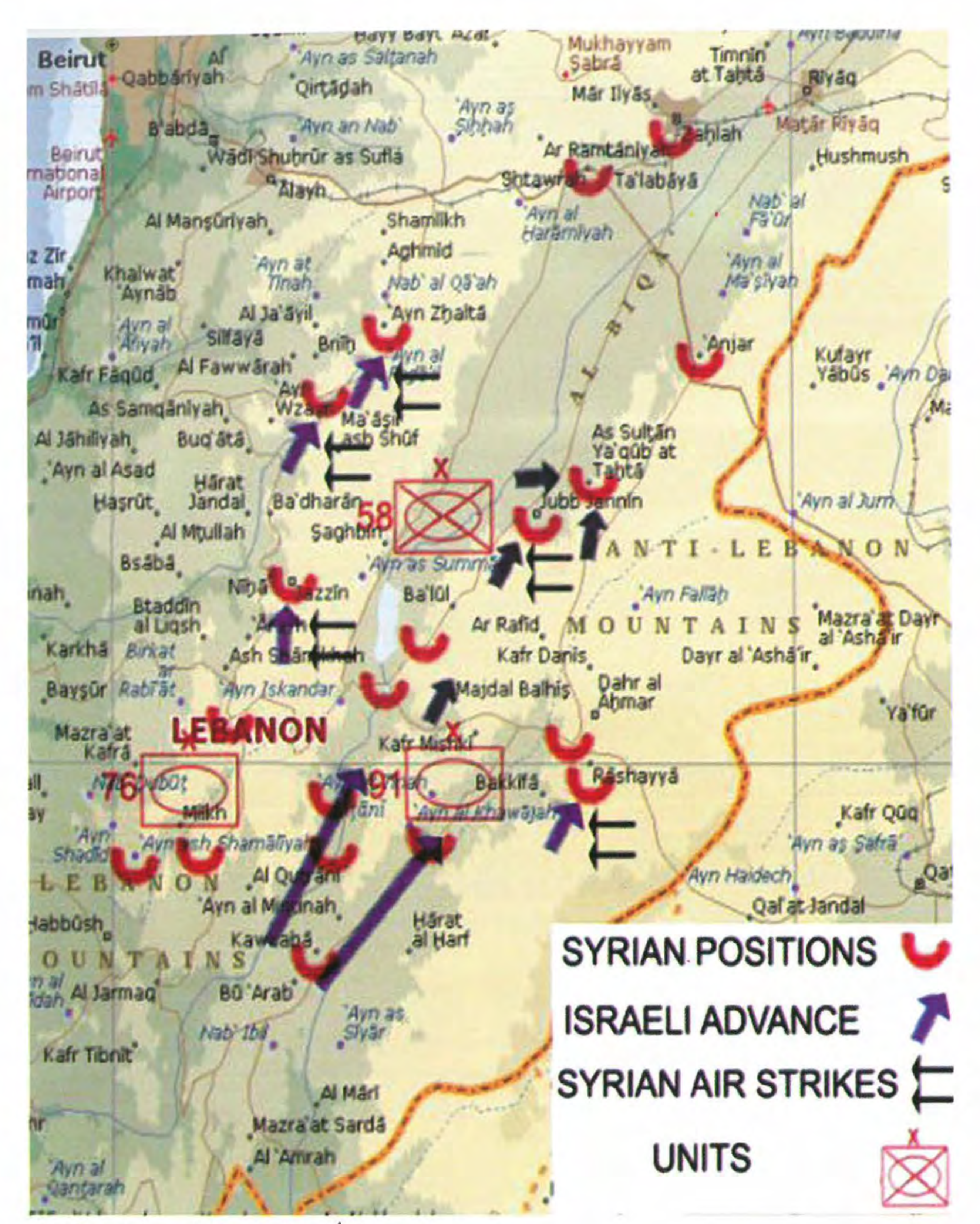
- في حال نفّذت هذه النقاط سنعتبر المرحلة العسكرية منتهية، ويمكن البدء بالمرحلة السياسية».

سُلّمت الرسالة الى حبيب الذي سلَّمها فورًا الى الرئيس الأسد عبر سفارته في دمشق.

وصلت القوات الإسرائيلية إلى الـ ٤٠ كم ولخَّص بيغن العملية قائلاً: «إن الثمن الذي دفعناه حتى الآن هو ٢٥ قتيلاً، ٧ مفقودين و٩٦ جريحًا، ونحن نشارك جميع العائلات الثكلى مصابها...»



حبيب نقل رسالة بيغن والأسد أرسل أصلان الى لبنان



خريطة تُظهر المواجهات السورية الإسرائيلية

السيطرة على جزين ومعركة عين زحلتا

في منطقة جزين، حاول السوريون منع التقدّم الإسرائيلي نحو البقاع الجنوبي، وركَّزوا كتيبة المشاة ٤٢٤ بقيادة المقدَّم يوسف العلي للدفاع عن منطقة البقاع. كما حاولوا إرسال تعزيزات الى جزين ولكن الطائرات الإسرائيلية إستطاعت إيقافها ومنعها من التقدّم.

من جهته حاول القائد الإسرائيلي مناحيم عينان ألا يصطدم مع الجيش السوري في جزين، وتابع تقدّمه شمالاً، لكن مجموعة من قوَّاته قصفت دبابة سورية، فاضطرّت قوّاته حينها الى إختراق الدفاع السوري ودارت معركة عنيفة بعدما وصلت القوات السورية الى الشارع الرئيسي في جزين فسقط ٧ جنود إسرائيليين فيما أُعطبت ٣ دبابات «ت ٦٢» سورية وانسحب ما تبقى من الكتيبة السورية إلى البقاع.

طلب إيتان من مناحيم عينان الوصول بكتيبته وبأقصى سرعة إلى طريق بيروت - دمشق وإلى حدود بحيرة القرعون، لكنَّه تأخَّر في تقدّمه فسبقته القوات السورية وأرسلت قوات خاصة مدرَّعة وتحضَّرت للمعركة.



الطائرات الإسرائيلية دمَّرت منصَّات صواريخ سام التي أدخلها السوريون



طائرة «غازل» سورية هاجمت الدبابات الإسرائيلية



إسرائيليان أمام دبابة سورية دمّرها الطيران في عين زحلتا

إستمرَّت كتيبة «عينان» في تقدّمها من دون مقاومة تُذكر... ولجأت الى المحطات المدنية للتزوّد بالوقود لأنَّ صهاريج الجيش تأخَّرت. في غضون ذلك، ظهرت في الجو طائرة هيليكوبتر سورية من نوع «غازل» الفرنسية والمزوّدة بصواريخ «هوت» المضادّة للدبابات وهاجمت الطابور الإسرائيلي ودمَّرت إحدى دباباته، فألحَّت القيادة الاسرائيلية على الرتل متابعة التقدّم وبسرعة نحو عين زحلتا قبل أن يصل السوريون إليها، لكنَّ المدرعات الاسرائيلية لم تصل قبل الساعة الحادية عشرة من ليل الثلاثاء ٨ حزيران، وبعد وصولها بدقائق معدودة، بدأت إحدى المعارك الليلية الصعبة بعدما دخلت الدبابات الاسرائيلية في كمين سوري وتعرَّضت لنيران كثيفة وللقاذفات المضادّة للدروع، فسقط للإسرائيليين ١١ قتيلاً و ١٧ جريحاً خلال المعركة.

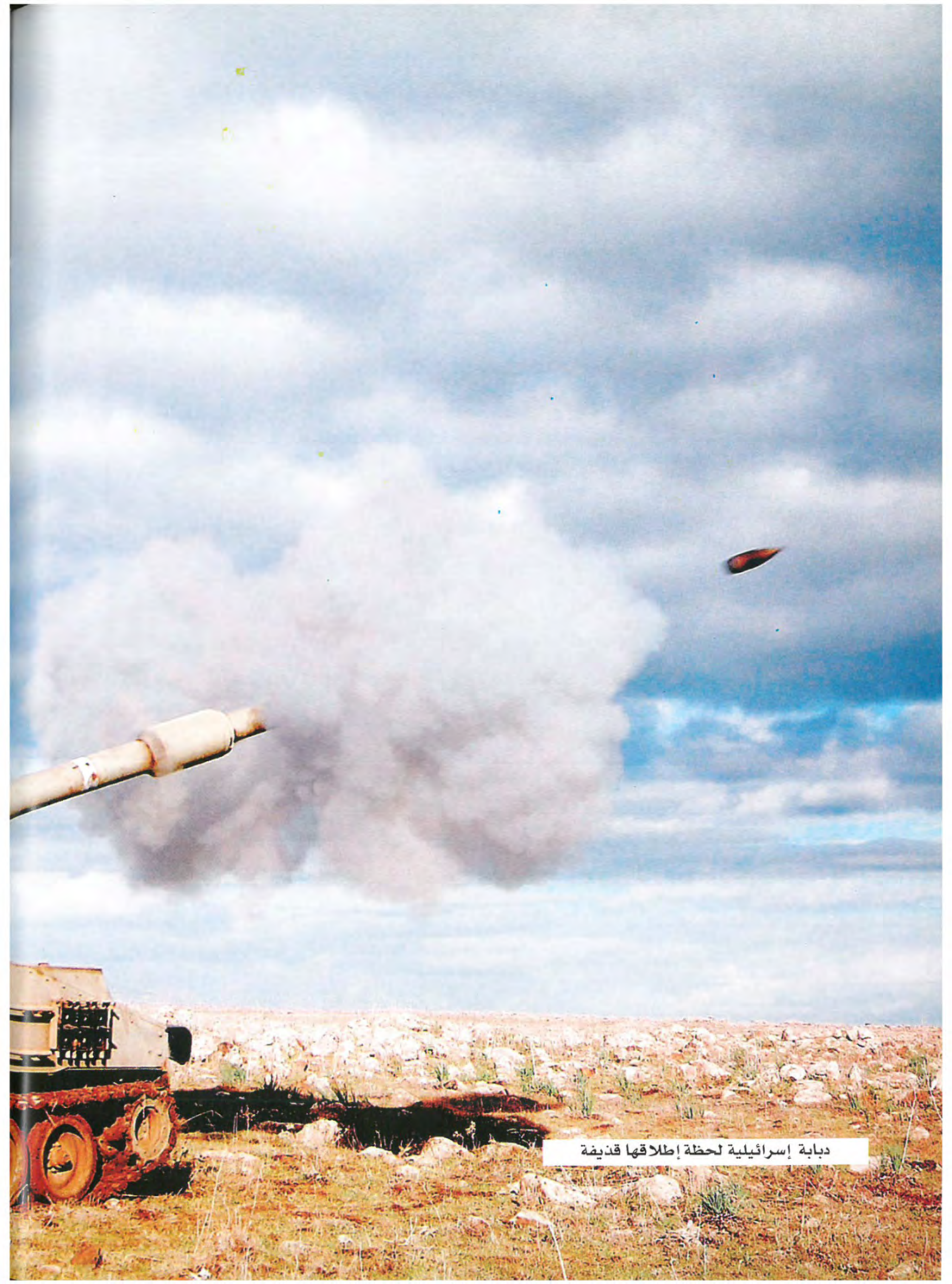
تدخَّل الطيران لإنقاذ الكتيبة العالقة تحت نيران السوريين، فقصف المواقع السورية الخلفية بعنف، ودعم كتيبة المدرعات «بكتيبة مظليين» كانت أُنزلت في منطقة الباروك. هاجم المظليون القوات الخاصة السورية وأنزلوا بها خسائر كبيرة، مقابل قتيلين من وحدة المظليين، لكن طريق عين زحلتا بقيت مقفلة.

يقول شارون: «في تلك الليلة، أيقظت بيغن في ساعة متأخرة لأطلعه على آخر التطوّرات، وطلبت منه عقد إجتماع للحكومة في صباح التاسع من حزيران. وفي الساعة التاسعة صباحًا، أعلم بيغن الوزراء بأنه بُعيد إتصالي الهاتفي في الليل، إتَّصل فوراً بسفير الولايات المتحدة، صموئيل لويس، طالبًا منه إبلاغ السوريين بسحب الصواريخ الجديدة خلال مهلة أقصاها الخامسة من صباح ٩ حزيران». وأعلن بيغن قائلاً: «في حال رفض الرئيس الأسد تنفيذ هذا الطلب، ستتحرّك إسرائيل. حاليًا، علينا إتخاذ قرار في شأن هذه الصواريخ».

أصرَّ شارون على اتخاذ قرار بشأن الصواريخ... واقترح ساغي رئيس الموساد الهجوم، أمّا وزير الداخلية، بورغ فطالب بالضوء الأخضر، وأيد دايفيد ليفي هذا الرأي مطالباً بتسريع التنفيذ... عندها أعلن بيغن، أن غالبية أعضاء الحكومة يؤيّدون القرار ولكنَّه سيُطلع السفير لويس على أن النقاط الأربع التي وردت في رسالتهم للسوريين ستبقى صالحة مهما حصل. وختم قائلاً: «على رغم الهجوم الوشيك على الصواريخ السورية نحن لا نريد الحرب مع سوريا».

جراء التطورات الدراماتيكية بين السوريين والإسرائيليين، ذهب فيليب حبيب الى دمشق في مسعى لإيقاف المواجهة بين الطرفين. في بادئ الأمر، رفض الرئيس الأسد إستقباله، وجعله ينتظر بضع ساعات...

وبينما كان ينتظر، بلغ الحكومة الإسرائيلية خبر طارئ من قسم المخابرات، مفاده أن فوجًا جديدًا من الصواريخ السورية هو في طريقه الى لبنان وأن قوات مدفعية ثقيلة، آتية من حمص، تتّجه جنوبًا نحو البقاع. فقال شارون للوزراء: «لقد قام السوريون بالمبادرة، ونحن جالسون هنا، من دون أن نحرّك ساكنًا».



دبابة إسرائيلية لحظة إطلاقها قذيفة



سيطرت المقاتلات الإسرائيلية على الأجواء بعد إنهيار سلاح الجو السوري وتدمير صواريخ «سام»





طائرات «ميغ ٢٣» السوفياتية الصنع

بسبب تأخر الصهاريج الإسرائيلية، لجأت الدبابات الى المحطات المدنيّة للتزوّد بالوقود

دبابات مدمّرة على طريق جزين - عين زحلتا

القصف الجويّ الإسرائيلي دمّر أحياء بكاملها

دبابة سورية مدمّرة في بحمدون

وفي عرمون

في ٩ حزيران هاجم سلاح الجو الاسرائيلي منصات الصواريخ السورية في وادي البقاع، وتمكَّن من تدمير معظمها بالإضافة إلى إسقاط ٢٩ مقاتلة ميغ سورية في إشتباك جويّ هو الأضخم، شارك فيه ١٦٠ طائرة ٩٠ مقاتلة إسرائيلية و ٧٠ سورية. وقد حاولت سوريا إنقاذ بطاريات الصواريخ بإشراكها الطائرات الحربية بهدف إشغال الطائرات الإسرائيلية عن الصواريخ، لكن العملية فشلت بسبب تفوّق الطائرات والطيارين الإسرائيليين الذين أسقطوا الطائرات السورية بالرغم من المساحة الصغيرة التي دارت فيها المعارك الجوية (٥٠ X ٥٠ كم)، فخسرت سوريا بفقدان صواريخها وقسم كبير من طائراتها خطًا دفاعيًا إستراتيجيًا.

إنهار سلاح الطيران السوري وخسر السوريون في المعارك الجوية ١٠٢ من طائراتهم الميغ ٢١ و٢٣ وسوخوي ٢٠، وقُتل لهم ٦٧ طيارًا، وخلت الأجواء تمامًا لسلاح جوّ واحد هو الإسرائيلي الذي أظهر تفوّقه في التكتيك الحربي، وبراعة طياريه الذين يخضعون لتدريبات متواصلة. إثر المعركة أعلنت سوريا عن إسقاط ٢٦ طائرة إسرائيلية وفقدان ١٦ طائرة من نوع «ميغ ٢١» فيما أعلنت «تل أبيب» عن إسقاط ٢٩ طائرة سورية وعن عودة كل مقاتلاتها سالمة.

وعن هذا التطور يقول شارون: «بقيت رسائلنا الى دمشق من دون إجابة... حينئذ أصدرت الى رئيس هيئة الأركان في الثانية عشرة إلا ربعًا من التاسع من حزيران أمرًا يقضي بتدمير الصواريخ



طائرة «ميغ ٢٣» مدمَّرة



دبابة سورية أوقعها القصف تحت الطريق

السورية، فبدأ الهجوم ظهراً، مستفيدين من أمثولات حرب ١٩٧٣، التي خلصنا إليها في مادّة التقنيات المضادة للصواريخ. وقرابة المساء كان قد تمّ تدمير ١٩ بطارية وإسقاط عدد كبير من طائرات الميغ السورية التي كانت قد أقلعت بعد هجومنا، أمّا طائراتنا فعادت جميعها سليمة. عندئذ فقط قَبِل الرئيس الأسد مقابلة فيليب حبيب، الذي كان ينتظر منذ الصباح».

أثار تدمير صواريخ سام قلق موسكو البالغ، بعدما انتفت فعاليّة الصواريخ السوفياتية ذات التقنيّة العالية، وأظهرت الضربة القاضية لصواريخ سام قابليّة الخطأ لدى أنظمة الدفاع التي ارتكز عليها السوفيات أنفسهم، فتدخّل الكرملن لدى الولايات المتحدة لإعلان وقف إطلاق النار، وذلك بعد أن هزّه المنحى الذي اتّخذته الأحداث، ولمس هشاشة الجيش السوري الذي أصبح تحت رحمة هجوم جديد. لذا، ضَغَطَ البيت الأبيض بشدّة على إسرائيل، فتلقّى رئيس الحكومة



الأسد أرسل طلاس الى موسكو ورسالة الى القوات الخاصة في السلطان يعقوب

الإسرائيلية رسالة شخصيّة من الرئيس ريغن يطلب فيها وقفاً لإطلاق النار... وعندما استلم بيغن رسالة ريغن، استدعى مجلس الوزراء الى مسكنه، لبحث الأمر، لكنَّ شارون كان حاسماً بقوله :«يمرّ السوريون والإرهابيون بوقت حرج، لذا ألحّوا في طلب وقف إطلاق النار... لقد سبق لنا أن شهدنا مثل هذا الوضع في كلّ حرب من الحروب التي خضناها، فكلّما وجد العرب أنفسهم في أزمة يطلبون وقفاً لإطلاق النار. لقدّ حقّقنا انتصارات باهرة في ساحة المعركة، ولكننا دفعنا ثمنها باهظاً، لذا، علينا إنجاز ما شرعنا به، ولهذه الغاية نحتاج الى بضع ساعات إضافية ولا نستطيع التوقّف الان ...».

وهكذا بدأت الطائرات الإسرائيلية العمل بحرّية ومنعت سوريا من تعزيز قواتها فضربت الكتيبة السورية المدرّعة رقم ٤٧ ودمَّرتها، فيما فشلت روسيا في الحصول على الأسرار الإسرائيلية وطريقة ضرب الصواريخ. حينها أرسل الرئيس حافظ الأسد وزير دفاعه «مصطفى طلاس» إلى روسيا مطالباً إياها الدفاع عن سماء سورية، لكن روسيا رفضت الإشتراك المباشر، ووافقت على إرسال الأسلحة الحديثة والمستشارين العسكريين.

ضُرب الجيش السوري في لبنان بقوَّة، فقد أصيبت المئات من دباباته وسقط له مئات القتلى، وبالرغم من ذلك، تابع الصمود أمام الإسرائيليين وقرّر منعهم من السيطرة على القسم الثاني من طريق بيروت - دمشق. وعند الساعة السادسة من صباح ١٠ حزيران، أبلغت سوريا فيليب حبيب موافقتها على وقف اطلاق النار بناء للطلب الاميركي، لكنَّ إسرائيل لم توافق لأن هدفها لم يتحقَّق وهو الوصول إلى طريق بيروت - دمشق.

السلطان يعقوب... محرقة الدبابات

الأسد لجنوده: «إذا امتلك العدو السماء فالأرض لنا...»

سيطر الوجوم على القادة العسكريين في هيئة الاركان العامة السورية، ولم تخفّف البرقية التي أرسلها العميد محمد حلال قائد القوات السورية في بيروت للرئيس الأسد، والتي أكّد فيها أنه سيقاتل حتى الاستشهاد، من واقع ان القوات السورية قد تلقَّت ضربة قاصمة. كان سلاح التشويش الإلكتروني الإسرائيلي قد فعل فعله وأصبح سلاح الجو السوري خارج المعركة بعد خسارته لمعظم طائراته المقاتلة... أما وسائط الدفاع الجوي من صواريخ ومضادات، فهي الأخرى دُمِّرت وبشكل كامل، فطائرات الاواكس (بإدارة امريكية) شنّت حربًا الكترونية كانت تُعتبر تقنياتها جديدة في تلك الأيام، وتسبَّبت بشللٍ تامّ للرادرات السورية. وبالنتيجة، أصبحت قوافل الجيش السوري تحت مرمى النيران الاسرائيلية وبدون أي غطاء جوي... فاندفعت القوات الاسرائيلية في جبل لبنان واجتازت الشوف وعاليه من دون أي قتال وأحكمت حصارها على بيروت.

وشوهدت قوافل ضخمة من الدبابات السورية والشاحنات تحترق في ضهر البيدر وصوفر وبحمدون وعاليه واعترفت القيادة السورية بخسارة ٥ طائرات ميغ ٢١ وطائرتي ميغ ٢٣ و٦ مروحيات و٨٣ دبابة و١٧ مدفعًا وكتيبتين صاروخيتين وبالإضافة الى مقتل ١٩٤ جنديًا وجرح ٣١٢ آخرين...

وتمكَّنت القوات الاسرائيلية من قطع طريق دمشق - بيروت، فأصبحت العاصمة محاصرة بالكامل حيث تدور على مشارفها وخصوصًا في مثلّث خلدة أشرس المعارك.

كانت كل التقارير لدى القيادة العسكرية السورية تُشير بوضوح الى عدم وجود أي إمكانية لإرسال المزيد من القوات الى الجبهة من دون غطاء جويّ يحميها... في تلك الأجواء، طلب الرئيس حافظ الأسد شخصيًا إرسال فرقة مدرعة من القوات الخاصة مع دبابات «ت ٧٢» المتطوّرة جدًّا لإيقاف تقدّم الإسرائيليين باتجاه البقاع... لأنَّ سقوط البقاع كان يعني إنكشاف العمق السوري بكامله... وتخوَّف الأسد من إمكان تقدّم إسرائيلي مستقبلي على جبهة الجولان ما يعني ان العاصمة دمشق أصبحت محاصرة بالكامل.

أرسل حافظ الاسد برقية الى الكتيبة الخاصة التي أمرها بالتصدّي للاسرائيليين يقول فيها: «... على الرغم من تفوّق سلاح الجو الصهيوني، عليكم التشبّث بالأرض والصمود وعدم التراجع مهما كان الثمن، لأنّ سوريا كلها ستكون بخطر شديد... إذا كانت طائرات العدو قد امتلكت السماء، فالأرض لنا، تمسّكوا بها ودافعوا عنها بكل ما أوتيتم من قوة وعزيمة وإصرارٍ لأنه لا مجال للتردّد ولا مجال للتراجع، فسيروا على بركة الله وان ينصركم الله فلا غالب لكم...»

ويقول اللواء سامي الخطيب الذي كان قائداً لقوات الردع العربية:« من العدل والانصاف ان نعطي الجيش السوري حقّه في معركتين نموذجيتين، هما معركة منصورية بحمدون ومعركة السلطان يعقوب- (بيادر العدس) بتاريخ ١٠و ١١ حزيران ١٩٨٢ الخطة الإسرائيلية قبل السيطرة على مداخل بيروت الشرقية كانت تقضي بأنْ تخرق كتيبة من الدبابات آتية من الجنوب على المحور الوسطي لتصل الى بحمدون وتقطع طريق بيروت - دمشق، وبالتالي محاصرة اللواء السوري ٨٥ بقيادة العميد محمد حلال، لكنَّ سرية من الوحدات الخاصة السورية تصدَّت بقاذفات الـ «آر بي جي» لكتيبة الدبابات الإسرائيلية، وأصابت عدداً منها، وَتدخّل سلاح الجو الاسرائيلي وهاجم السرية السورية بعنف... ولم ينج من أفرادها سوى عدد قليل غادر أرض المعركة تحت جنح الليل...».

معركة المثلّث والكمين السوري

حصلت جنوبي بحيرة القرعون، معركة ضارية وعنيفة تمكَّنت في خلالها كتيبة سورية أرسلها الرئيس حافظ الأسد من إلحاق هزيمة كبيرة بكتيبة إسرائيلية إذ دمَّرت قسماً من دباباتها، وغنمت قسماً آخر وأوقعت في صفوفها عدداً من القتلى والجرحى والمفقودين.


آليات إسرائيلية تدخل الشوف بمحاذاة دبابة سورية مدمّرة

فجر الخميس ١٠ حزيران الرابعة والنصف صباحًا، تابعت القوة الإسرائيلية المدرعة تقدّمها على الطريق الرئيسية في البقاع واستطاعت التغلّب على الألغام التي زرعها السوريون والذين إستعدوا للمواجهة نظرًا للأهمية الاستراتيجية لهذه المنطقة.

في ذلك اليوم، أمر قائد القوات الاسرائيلية في القطاع الشرقي اللواء أفيغدور بن غال «بانوش» نائبه اللواء أيهود براك، بنقل أحد الألوية من منطقة قرية مشكي إلى مثلَّث الطرق جنوب السلطان يعقوب، وكانت النيّة دفع القوات الاسرائيلية بإتجاه طريق بيروت - دمشق أحد الأهداف الرئيسية لحرب لبنان... وطلب باراك تحرّك كتيبة مدرعات بسرعة وأثناء الليل، مفترضًا أن القوات السورية في المنطقة قد انهارت.

الساعة الثامنة ليلاً، تقدَّمت القوات الإسرائيلية بإتجاه مثلّث الطرق الذي يؤدّي إلى «كامد اللوز» وجب جنين، ولم تكن تعلم ماذا ينتظرها. فقد إستعدَّت القوات السورية للهجوم الإسرائيلي، وتمركزت مموّهة على رؤوس التلال المحيطة. وعندما إستطلع قائد الكتيبة المتقدّمة المنطقة، إعتبر أنها سالكة لأنَّه لم يشاهد من برج مراقبته أي تحرّك مُعادٍ. طلب «بن غال» (يانوش) من «عيرا» التقدّم بسرعة باتجاه «مثلّث الطرق» والتوقّف هناك للمراقبة والإستطلاع، فتوغّلت



دبابة سورية أصيبت وانحرفت عن الطريق في الجبل



بن غال أمر نائبه باراك بالسيطرة على مثلّث السلطان يعقوب

المدرَّعات في منطقة نيران القوات السورية التي استعدت في كمين دفاعي... قرَّر عيرا وضع نقطة مراقبة في منطقة سهلة جغرافياً، وتقدّم بهدف الوصول إلى سفوح هضبة السلطان يعقوب... وعندما أصبحت الوحدات السورية متمكّنة من الآليات الاسرائيلية، إنهالت عليها بصواريخ «الساغر» فخسرت كتيبة «عيرا» أول ٥ محاربين بعد أن أُصيبت دبابتهم بشكل مفاجئ، ولكن أغلب هذه الصواريخ أخطأت الهدف بسبب قُرب المسافة التي أُطلقت منها. أُعطي الأمر بالتقدّم والقصف على جميع الجهات ولكن الكتيبة انفصلت إلى ثلاثة أقسام وشعر عيرا أنه لا يسيطر على جميع قواته. طلب المساعدة فأُرسلت له سرية واحدة فقط لإنقاذه خوفاً من كمين أكبر.

المعركة كما سردها الجنود الإسرائيليون

يروي أحد ضباط الكتيبة الإسرائيلية: «...بعد أن تلقّى قائد الكتيبة عيرا الأمر من قائد اللواء، جمع الضباط بالقرب من دبابته مع خارطة ومصباح، وقال: «إننا ذاهبون لاحتلال مثلّث طرق، وإن المنطقة مطهّرة ولا ينبغي إطلاق النار باتجاه اليسار لأن قوّاتنا متواجدة هناك، ولم أتلقَّ أية معلومات من ضابط إستخبارات اللواء حول ما ينتظرنا في المنطقة، بل قالوا لنا إن السوريين في حالة من الهرب، وإذا رأيتموهم لا تُطلقوا النار من أجل عدم تعطيل دبابات الغنيمة الجيدة». وفي حوالي الساعة الثامنة ليلاً بدأت الكتيبة تتحضَّر على المحور، وعند تحرّكها باتجاه مثلّث الطرق حوالي الساعة الحادية عشرة حلَّت الكارثة، حين أُصيبت دبابتان فوراً، واتضح بعد ذلك أن المثلّث الذي وصلت إليه طلائع الكتيبة كان في الحقيقة نقطة تتمركز فيها قوة سورية خاصة، فتح جنودها نيران أسلحتهم وقاذفاتهم ومدافعهم عندما أصبحت دبابات الكتيبة الاسرائيلية على مقربة منهم، وتحت سيطرة نيرانهم في الأسفل».

لم يخطر في بال قائد الكتيبة عيرا أنه موجود داخل منطقة سورية عندما أصدر أمراً بالتحرّك نحو الأمام، رغبة منه في الخروج من مجال النيران التي وصفها الضابط آفي راط قائلاً: «وجدنا أنفسنا مطوَّقين من كل جانب، وتلقّينا عشرات الصواريخ من كل الاتجاهات، وقد عمّت الفوضى والإرتباك حين انفصلت السرايا عن قيادة الكتيبة، وكذلك كان حال قادة الفصائل مع قادة السرايا، وأُغلق محور حركة الكتيبة بسبب الدبابات المصابة، وأسهم الظلام في اختلاط السرايا بعضها لبعض، ولم يعرف القادة أين هم جنودهم، فَجَرَت محاولات لجمع القوّات ولكن دون جدوى».

ولخّص قائد السرية الوضع بأنه «كان داخل الدبابة محاطاً بقوات سورية تُطلق النار عليه من كل الاتجاهات ومن مسافة قريبة جداً، وأنّ بعض الجنود السوريين كانوا على مسافة ثلاثة أو أربعة أمتار من الدبابة... وظلّت حالة الارتباك سائدة في الليل. وقبل بزوغ الفجر، أوعز قائد اللواء إلى كتيبة أخرى تابعة له بإنقاذ الكتيبة المحاصرة، فأُرسلت سرية لهذه الغاية، ولكنّها اصطدمت بنيران القوات السورية ولم تُنفّذ مهمَّتها. ومع الصباح، أدركت الكتيبة أنها حوصرت داخل منطقة سورية وظهرت أفضلية المواقع التي حَظي بها الجيش السوري، وبدأت الدبابات الإسرائيلية تُصاب الواحدة تلوَ الأخرى وتقدّمت خلايا من المشاة السوريين وضربت الدبابات الإسرائيلية عن بعد عشرات الأمتار فقط... حاول قائد الكتيبة عيرا تهدئة الجنود الذين واجهوا ظروفاً صعبة، فأشعة الشمس أحرقت أبصار طواقم الدبابات، والقوات السورية المتمركزة بين السلاسل الصخرية



بقايا طائرة إسرائيلية ودبابات «ميركافا» وآليات من معركة السلطان يعقوب في معرض دمشق الدولي

كانت تُطلق الصواريخ ونيران المدفعية وقذائف الدبابات على الكتيبة التي كانت مقدّمتها على مسافة حوالي أربعة كيلومترات إلى الشمال من مثلّث الطرق، أما مؤخرتها فكانت موزّعة على المحور جنوب هذا المثلّث... ومع تقدّم النهار اشتد ضغط القوات السورية».

ويتابع آفي راط: «طلب عيرا المساعدة من قيادته وشعر إيهود باراك أن هذه الحالة مشابهة لمعركة المزرعة الصيفية في حرب الغفران، ولذلك يجب تحريك الطائرات باتجاه السلطان يعقوب. لكن الطائرات لم تستطع قصف القوى الملتحمة بل قصفت وحدة سورية أخرى. كانت التغطية المدفعية أفعل من الطيران، وهذا ما ساعد كتيبة عيرا على الصمود رغم أن الذخيرة والوقود كانا قد بدأءا ينفذان.

أدرك قادة الكتيبة أن التعزيزات لن تصل، وأن الجنود يشعرون بالتعب والاستنزاف بعد ليلة معركة قاسية حتى أعتقد بعضهم أن نهايتهم أصبحت قريبة... تكلّم عيرا مع بانوش وباراك طالباً المساعدة، فطلبا منه ترك الدبابات والإنسحاب سيراً، ولكنّه إعتبر أن ذلك أشبه بالإنتحار لأن قوات خاصة سورية كانت تترصّدهم... بحث عيرا إيجاد مخرج مع نائبه ميخا (طالب في الجامعة)، فوجدا ٣ إمكانيات: الحرب حتى النهاية، الإنسحاب إلى الخلف، أو الإستسلام! إختار «ميخا» الإنسحاب، على أن يقوم سلاح الطيران بتغطية إنسحابهم بقصف مركّز على القوات

السورية، ولكن الطائرات لم تقصف لأن مجموعة من الجنود كانت عالقة في الأسر. عند الساعة ٨،٤٥ من صباح ١١ حزيران، بدأ ما تبقّى من الكتيبة الاسرائيلية بالانسحاب الخلفي وصراع البقاء، بعدما بدأت المدفعية الإسرائيلية بإسقاط نيران كثيفة وثقيلة على المنطقة السورية، واستطاعت الكتيبة تحت غطاء هذه النيران الانسحاب إلى الوراء محاولة الوصول إلى الطريق والسير باتجاه الجنوب على متن دباباتهم التي تحرّكت بسرعة جنونية... وكانت القوات السورية المتمركزة على مسافة ٢٠ م من الطريق تُطلق النار عليهم، وكان المطلوب ١٦ دقيقة فقط لاتمام عملية الفرار التي أصيبت خلالها ١٠ دبابات وقُتل ٤ جنود وأُسر الجندي «ليبرمان». وترك الإسرائيليون وراءهم ثماني دبابات، وعدداً من العربات المدرعة والقتلى والجرحى... وفي الساعة ٩،٠٦ أعلن عيرا أنه خارج الكمين!».

وقد وصف ضابط الاستخبارات عيرون ما جرى بقوله: «لم تكن تلك معركة، حيث رغبنا فقط بالخروج من المكان على قيد الحياة». إندهش عيرا عندما رأى القوات الإسرائيلية المتمركزة في المنطقة والتي لم تستطع مساعدته، وفوجئ أكثر عندما قابل أحد أصدقائه وهو ضابط الإستخبارات الذي أخبره أنه لو كان يعلم أن الكتيبة ستدخل إلى هذا العمق لكان حذَّره لأنه يعرف كلّ شيء حول الترتيب العسكري السوري في السلطان يعقوب. أكيلت التهم لعيرا وميخا بأنهما فقدا السيطرة على الموقف لكن بن غال إعتبر أنَّ موقفهما مشرّفًا وقرَّر هو تحمّل المسؤولية كقائد للجيش الإسرائيلي في المنطقة.

سقط للإسرائيليين خلال معركة السلطان يعقوب أكثر من ٢٠ جنديًا، وأُصيب العشرات وفُقد ستة جنود لا يزال ثلاثة منهم مجهولي المصير وهم «يهودا كاتس» و«تسفي فيلدمان» و«زخاريا باومل»[١].

بقيت في المنطقة ٨ دبابات حَوَتْ الكثير من المعدّات السرية والتي كان بالإمكان إعادتها أو تفجيرها، مما زاد في فشل عَملية السلطان يعقوب.

لم يستطع سلاح الجو الاسرائيلي التدخّل في المعركة لأنّ عشرات الدبابات احتشدت والتحمت في بقعة ضيقة ولساعات، كما أنّه لم يقصف الدبابات التي تمَّ أسرها لأنّ الإسرائيليين تخوَّفوا من وجود رفاقهم الذين كانوا في عداد المفقودين داخل الآليات التي غنمها السوريون.

ويقول اللواء سامي الخطيب: «كان المطلوب من الجنرال بن غال الوصول الى المصنع وقطع

١- قام أهلهم ورفاقهم بالتظاهر لكشف مصيرهم واتَّهموا المسؤولين الإسرائيليين بأنهم يهتمّون بالطيار «رون أراد» وبالجندي جلعاد شاليط الذي أفرج عنه من غزة ولا يهتمّون بأبنائهم... فأصدرت الحكومة الإسرائيلية بيانًا أعلنت فيه وفاة الجنود الثلاثة الذين ما زال مكان رفاتهم غير معروف.


الجنود تسفي فلدمان، يهودا كاتس وزخريا باومل فُقدوا وبقي مصيرهم مجهولاً

طريق دمشق قبل إعلان وقف إطلاق النار الذي كانت توضع اللمسات الأخيرة عليه. إندفعت الدبابات الإسرائيلية باتجاه الشمال وما أن اجتازت مفرق الفالوج المؤدي الى بلدتَي كامد اللوز وجب جنين، حتى خرجت الدبابات السورية الحديثة من مخابئها المموّهة في حفر، وهاجمت رتل الدبابات الاسرائيلي بهجوم التحامي الانف على الانف، وذلك لتعطيل دور الطيران(١)، ما أدَّى الى تدمير عدد من الدبابات الاسرائيلية وأسر خمس دبابات ميركافا صالحة للعمل، وهي موجودة حتى الآن في المتحف الحربي في دمشق. وتوقّف الهجوم الإسرائيلي في بيادر العدس شرقي السلطان يعقوب ...»(٢).

أثارت معركة السلطان يعقوب جدلاً واسعًا داخل الجيش الإسرائيلي ما زال قائمًا حتى اليوم لما تركته من تداعيات. وفي هذا الإطار قال موريس درايبر مساعد فيليب حبيب: «إعترف الإسرائيليون أن السوريين أبلوا بلاءً حسنًا، وتراجع بيغن عن السيطرة على طريق دمشق - بيروت بعد أن أخبرته القيادة بأنَّها مُنيت بخسائر فادحة».

وذكر شارون الأمر قائلاً: «شرحت للحكومة صباح ١١ حزيران أهميّة وجودنا على طريق بيروت دمشق في الوقت الذي يسري فيه وقف إطلاق النار لكي نؤمّن لأنفسنا موقعًا قويًا جدًا في المفاوضات المقبلة. ونكون بذلك قد أنجزنا مناورتنا على الجناح السوري في البقاع، وهو وضعٌ

١- في حال الإلتحام يصبح صعبًا جدًا على الطيارين تمييز الدبابات الاسرائيلية من الدبابات السورية.
٢- في عين الحدث... اللواء سامي الخطيب

سيمنع السوريين من إقامة حكومة ألعوبة في بيروت خلال الإنتخابات اللبنانية في الخريف، كما سيجعل وجودهم العسكري في لبنان لا يُطاق. إضافة الى ذلك، سنحقّق، من خلال قطعنا هذه الطريق، الاتّصال بالقوات المسيحيّة، وبهذه الطريقة سنحاصر آلاف الإرهابيين الذين تواروا في قطاع بيروت...»[١]



جنود إسرائيليون في منطقة «ينطا - البقاع» بعد معركة السلطان يعقوب

١- مذكرات شارون

زعماء اليوم أين كانوا في الأمس؟

ميشال عون

كان ميشال عون ضابطًا صغيرًا عندما وقعت المواجهة الأولى مع الإسرائيليين العام ١٩٦٧ على الحدود اللبنانية - الإسرائيلية، لكنَّ المساعي الدبلوماسية أوقفت الحرب يومها قبل أن تتمكَّن إسرائيل من إحتلال جزء من الأراضي اللبنانية. ويورد غسان شربل في كتابه «أين كنت في الحرب؟» أن عون «شعر بمزيج من القلق والخوف فالدولة الصغيرة تتكىء على جيش صغير، وعلى الضمانات التي لم يطمئن هذا الضابط إليها يومًا...»



عون بقي ملتزمًا بقرارات قيادته العسكرية



في العام ١٩٦٨، قامت إسرائيل بعملية نوعيَّة وقاد رفاييل إيتان المظليين الذي نسفوا الطائرات المدنية في مطار بيروت... إستاء عون لأن الجيش لم يُبدِ أي مقاومة تَحفَظ ماء الوجه للبنان، كما أنه رفض مع نخبة من ضباط الجيش اللبناني الممارسات الفلسطينية التي كانت تنتهك سيادة الدولة اللبنانية فشكّلوا تيّارًا يستغرب لماذا يُسمح للفلسطينيين في لبنان ما يُمنع عنهم في البلدان العربية؟... تراجعت الثقة بالقيادتين السياسية والعسكرية وبات الضباط المتمردون سرًّا يطمحون الى أن يستعيد الجيش حضورة وقدراته... وعلى الرغم من إستيائه وغضبه من تصرّف الميليشيات التي كانت تتمدَّد على حساب نفوذ الجيش اللبناني ومعنوياته والتي استولت على أسلحته يوم لم يُسمح له القيام بدوره، شبك ميشال عون علاقات مع بشير الجميل بواسطة مستشار الأخير أنطوان نجم. وإبّان الإجتياح الإسرائيلي للبنان كان العماد ميشال عون برتبة عقيد ومسؤولاً عن الجبهة التي يتسلّمها الجيش اللبناني وتمتدّ من عين الرمانة حتى كفرشيما. عون الذي بات من أبرز أصدقاء بشير الجميل كان ملتزمًا، كما يؤكد عارفوه في تلك الفترة، قرارات الشرعية اللبنانية ولم يكن يقوم بأي تحرّك أو مهمّة لا توافق عليها قيادة الجيش، وهو رفض الكثير من الأمور التي طُلبت منه إذا لم تكن أوامرها صادرة عن قيادته العسكرية... لكنَّه كان ضمن فريق عمل بشير ويشارك في إجتماعات خليّة التخطيط للمراحل المقبلة والتي كانت تضمّ عددًا من الشخصيات ومنهم شارل مالك، أنطوان نجم، زاهي البستاني، سليم الجاهل، جورج فريحة، جوزيف أبو خليل وجوني عبدو لاحقًا... وآخرين.

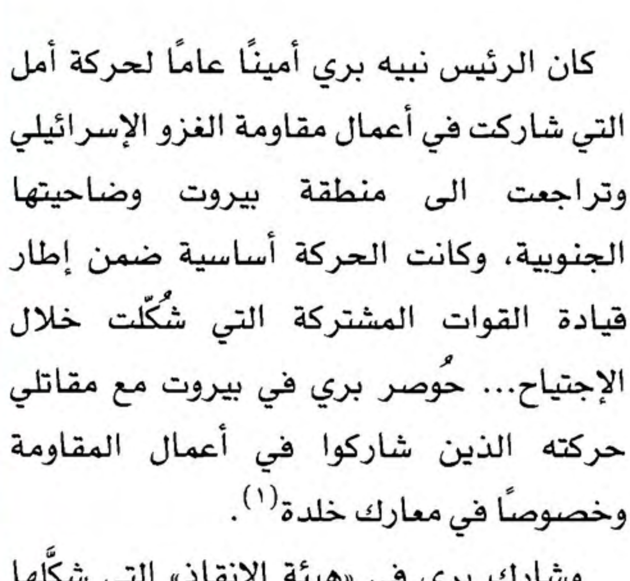
نبيه بري



برّي سحب فتيل الخلاف بين المقاتلين

كان الرئيس نبيه بري أميناً عاماً لحركة أمل التي شاركت في أعمال مقاومة الغزو الإسرائيلي وتراجعت الى منطقة بيروت وضاحيتها الجنوبية، وكانت الحركة أساسية ضمن إطار قيادة القوات المشتركة التي شُكّلت خلال الإجتياح... حُوصر بري في بيروت مع مقاتلي حركته الذين شاركوا في أعمال المقاومة وخصوصاً في معارك خلدة[١].

وشارك بري في «هيئة الإنقاذ» التي شكَّلها الرئيس الياس سركيس لإبقاء التواصل قائماً بين المجموعات اللبنانية ولتخفيف المآسي التي تُخلّفها المعارك... كما لعب دوراً لافتاً في المحافظة على وحدة المجموعات المقاومة وسحب فتائل الصراع من بينها.



جنبلاط وبرّي في قصر المختارة

١- تفاصيل معارك خلدة في الجزء الرابع

وليد جنبلاط


جنبلاط والبيت الدرزي

لعب وليد جنبلاط دوراً لافتاً خلال الإجتياح الإسرائيلي وبعده... ورغم أن القوات الإسرائيلية توغَّلت بسرعة في مناطق الجبل الدرزي ومن دون أي مقاومة تُذكر، إنتقل جنبلاط الى بيروت ومكث فيها خلال الحصار، وكان الحزب الإشتراكي ضمن تشكيل القوات المشتركة... شارك جنبلاط الى جانب أمين عام حركة أمل نبيه بري ضمن إطار ما عُرف بـ «هيئة الإنقاذ الوطني» والتي ضمَّت الى بري، بشير الجميل، نصري المعلوف والرئيسين الياس سركيس وشفيق الوزان. (سنتطرّق إليها في الأجزاء اللاحقة).

شعر وليد جنبلاط بالخطر الشديد عندما اندفعت وراء الدبابات الإسرائيلية مجموعات من القوات اللبنانية الى الجبل معظم عناصرها كانوا من القرى المسيحية الذين حُرموا من زيارة بلداتهم في السابق، وقد تصرَّفوا وكأنهم ربحوا الحرب يحرّكهم شعور بالثأر والإنتقام لدوافع شخصية أو حزبية... هذه التجاوزات والتصرّفات شدَّت عصب الدروز حول وليد جنبلاط الرافض وصول عدوّه السياسيّ بشير الجميل الى سدّة الرئاسة، فمنطقة الجبل التي تضمّ الشوف وعاليه هي منزل الدرزي ووهي التي تؤمّن له كل متطلّبات العيش والنفوذ على مختلف الصعد، ولا يمكنه أن يحقّق ذاته إلاَّ في هذه المنطقة الصغيرة من العالم وأي تعدٍّ عليها يعني تهديد كيانه ووجوده... الى ذلك كان وليد جنبلاط يعتبر أن هناك خطة لإلغائه سياسيًّا من خلال تقرّب بشير الجميل من عائلة المير مجيد إرسلان والعمل على دفع الأمير فيصل الى الواجهة ليشكّل زعامة بديلة لجنبلاط، الأمر الذي أيقظ في النفوس الصراع التاريخي بين التيارين الدرزيين اليزبكي والجنبلاطي.

يقول سمير جعجع في كتاب غسان شربل «أين كنت في الحرب؟»: «في هذه الْمرحلة، كنت مسؤولاً عسكريًّا عن الشَّمال، ولَم يكن لِي تأثير أصلاً في القرار، خصوصًا أنّني كنت قد وصلت قبل عام إلى جوّ من الْجفاء أبعدني عن الْمجلس الْحربِي. كنت أتابع الأعمال العاديّة، ومَقرّي في القطّارة في أعالِي جبيل. لَم يكن لِي مَوقع في اتّخاذ القرار أو صناعته، ولَم يكن أحد يسألنِي رأيي. لكنّنا كُنّا نَتداول في الْموضوع في حلقاتنا...»

كان سمير جعجع بعيدًا عن كل ما يجري في بيروت... وأُطلق على مقاتليه لتمييزهم إسم «ثوّار الشمال»، وكان يعمل بصمت بعيدًا عن الأضواء في جبهة الشمال التي تمتدّ عشرات الكيلومترات من حاجز البربارة على شاطىء البحر حتى جرود منطقة تنورين وتلال الرهوة باستثناء المنطقة البترونية التي يتولاها إقليم البترون الكتائبي ومنها بلدات شبطين وزان وصورات... فيما كانت ثكنة عمشيت تتولّى جبهتي العاقورة واللقلوق...



سمير جعجع أقام منطقة مستقلة عن المجلس الحربي الكتائبي

وفي حين كان بشير وقيادته أركان القوات منهمكين في الأحداث التي يشهدها لبنان كان سمير جعجع وقيادة جبهة الشمال منهمكين بإقامة ورشة تنظيميّة وتدريبية كبيرة تمثّلت بالعمل على محاور عدة:

- تأمين الإستقلالية اللوجستية والمادية من خلال عائدات لا تضطرها الى طلب أي شيء من قيادة المجلس الحربي...

- تنظيم الجبهة وتدعيمها لمنع عمليات تسلّل من منطقة الشمال التي يسيطر عليها تنظيم المردة والذي كان نجح في تنفيذ بعض العمليات النوعية وأدت أبرزها الى سقوط مسعود الحويك نائب سمير جعجع وأحد أبرز القادة الميدانيين في المنطقة.

نائب سمير جعجع مسعود الحويك سقط في كمين في حردين

- القيام بورشة تدريبية وإستيعابية واسعة بحيث انتشرت مخيّمات التدريب وأبرزها في دير بصة في كفور العربة قضاء البترون وفي مهنية دوما الرسمية... وبدأ العمل على إحصاء مهجّري الشمال ودعوة الرجال والشباب منهم الى دورات تدريب وتأمين دوام خدمة على مراكز الجبهة خلال العطل الأسبوعية كما تمّ تدريب مفوّضي وشباب أقسام الكتائب في منطقة جبيل... على أن يختار كل واحد منهم الموقع الذي يناسبه للخدمة...

«عمليَّة الليطاني» إجتياح ١٩٧٨

إمرأة فلسطينية قادت أكبر عمليَّة داخل إسرائيل

يوم السبت ١١ آذار ١٩٧٨، نفّذت مجموعة فدائية تابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية عمليّة نوعية جريئة عُرفت بعمليّة «الشهيد كمال عدوان»، الذي اغتالته إسرائيل مع رفيقين له من قادة منظمة التحرير الفلسطينية، في شارع فردان في بيروت في العام ١٩٧٣. وحصلت العملية الفدائية على طريق الساحل بين حيفا وتل أبيب وأسفرت عن مقتل ٣٥ شخصاً وإصابة العشرات.

خطَّط لعملية «كمال عدوان» خليل الوزير «أبو جهاد» ونفّذتها فرقة دير ياسين بقيادة دلال المغربي.



أبو جهاد خطَّط عمليَة «كمال عدوان» ودلال المغربي قادت الفدائيين

ففي التاسع من آذار ١٩٧٨ ركبت دلال مع فرقتها الفدائية سفينة نقل تجارية تَقرّر أن توصلهم إلى مسافة ١٢ ميلاً من الشاطئ، بعدها استقلّت المجموعة زوارق مطاطية للوصول إلى شاطئ مدينة يافا القريبة من تل أبيب حيث مقر الكنيست الهدف الأول للعملية، غير أن رياح البحر كانت قويّة فحالت دون وصول الزوارق إلى الشاطئ في الوقت المحدّد وغَرق إثنان من الفدائيين وبَقِيَ الزورقان المطاطيان في عرض البحر ليلة كاملة تتقاذفهما الأمواج حتى لاحت أضواء تل أبيب ووصلا إلى الشاطئ في منطقة غير مأهولة.

في اليوم الثاني وعند الساعة ٦،٤٥ مساءً، بدأت العملية، التي استمرت لأكثر من ثلاثين ساعة، عندما تجاوزت المجموعة الفدائية الطريق العام قرب مستعمرة معجان ميخائيل وتمكّنت من السيطرة على سيارة مرسيدس إستخدمتها لخطف باصٍ إسرائيلي فيه ثلاثين راكبًا وأجبرته على التوجّه نحو تل أبيب. وفي الطريق، إستطاعت المجموعة السيطرة على باصٍ ثانٍ فتمَّ نقل ركّابه ركابه إلى الباص الأول واحتجازهم كرهائن ليصل العدد إلى ٦٨ رهينة خاطبتهم دلال قائلة: «نحن لا نريد قتلكم، نحن نحتجزكم فقط كرهائن لنخلّص إخواننا المعتقلين في سجون دولتكم... نحن شعب يُطالب بحقّه، بوطنه الذي سرقتموه...» هنا ظهر صوت يرتجف من بين الرهائن لفتاةٍ قالت إنها يهودية من المغرب تعرف العربية، فطلبت دلال من الفتاة أن تُترجم ما تقوله... وأضافت:



صورة للفدائيين قبل إنطلاقهم: علي مراد، دلال المغربي، محمد الشمري، محمد شرعان، محمد مسامح



إيهود باراك قائد الوحدة الإسرائيلية يحمل جثة قائدة الفدائيين دلال المغربي

«لتعلموا جميعًا أن أرض فلسطين عربية وستظلّ كذلك مهما علت أصواتكم وارتفع بنيانكم على أرضها». ثم أخرجت دلال من حقيبتها علم فلسطين وقبّلته وعلّقته داخل الباص، وأنشدت أناشيد ثوريّة...

أمرت الحكومة الإسرائيلية فرقة خاصةً من الجيش بقيادة إيهود باراك[1] بإيقاف الحافلة، فقامت وحدات كبيرة من المدرعات وطائرات الهليكوبتر بملاحقة الباص ونُصبت الحواجز على الطرق المؤدّية إلى تلّ أبيب. لكنّ الفدائيين تمكّنوا من تجاوز الحاجز الأول ومُواجهة عربة من الجنود، الأمر الذي دفع بالقوات الإسرائيلية إلى تكثيف

١- إرتبط إسم إيهود باراك بكل ما يمتّ الى عملية «كمال عدوان» بصلة. فهو كان ضمن فرقة الكوماندوس الخاصة التي اغتالت القياديين الفلسطينيين الثلاثة وبينهم كمال عدوان في شارع فردان في بيروت، وهو كُلّف بمواجهة مجموعة الفدائيين الذين نفّذوا العملية بقيادة دلال المغربي، ثم قاد لاحقًا عملية إغتيال خليل الوزير (أبو جهاد) الذي خطّط لعملية كمال عدوان وذلك بإنزال مجموعة كوماندوس من فرقة سيريت ماتكال على الشواطىء التونسية العام ١٩٨٨ تسلّلت الى منزله وقتلته في غرفته. كما أن باراك شارك مع فرقته في عملية الليطاني عام ١٩٨٢، وشارك لاحقًا في عملية سلامة الجليل العام ١٩٨٢ كنائب للجنرال أفيغدور بن غال، وهو كان رئيس الحكومة الإسرائيلية التي إتخذت قرار الإنسحاب من لبنان في العام ٢٠٠٠.

الحواجز بعدما تجاوز الفدائيون حاجزين آخرين وأطلوا على مشارف تلّ أبيب... فتمركزت الآليات العسكرية المدرّعة قرب نادٍ ريفي إسمه (كانتري كلوب) بالقُرب من مستعمرة هرتسليا، وأمر إيهود باراك بإيقاف الباص بأي ثمن... أطلقت النار على إطاراته وسَدّت طريقه مدرّعة عسكرية... حاولت المجموعة الفدائية مخاطبة الجيش بواسطة الفتاة اليهودية المغربية التي تحدّثت إليهم من نافذة الباص، لكنّ أحد الضباط ردَّ عبر مكبّرات الصوت أن «لا تفاوض مع جماعة المخرّبين وأن عليهم الإستسلام فقط...» عندها إضطرت المجموعة الفدائية الى المواجهة فحصلت معركة عنيفة



ملصق أصدرته فتح لمنفذي العمليّة

قُتلت فيها دلال مع ستة فدائيين وبدأت ذخيرة من بقي حيًّا منهم تنفذ، حتى انتهت العملية بمقتل عشرة فدائيين وسقوط عشرات القتلى والجرحى من الرهائن والجنود الإسرائيليين.

بعد إنتهاء العملية، سأل إيهود باراك أحد الفدائيين الأسرى: «من قائد المجموعة؟» فأشار بيده إلى دلال... أعاد باراك سؤاله على الأسير الجريح الذي ردّ: «إنها دلال المغربي».

معظم منفذي العملية لم يتجاوزوا العشرين من العمر، وهم إضافة الى دلال المغربي، «محمود علي أبو منيف (نابلس)، يحيي محمد سكاف (طرابلس- لبنان)، خالد محمد ابراهيم (فلسطين)، خالد عبدالفتّاح يوسف (طولكرم)، محمد مسامح (طولكرم)، محمد حسين الشمري (اليمن)، محمد الشرعان (لوبيا- فلسطين)، محمد فضل أسعد (حيفا)، عبدالرؤوف عبدالسلام (اليمن)، عامر عامرية (المنية- طرابلس)، حسين ابراهيم فياض(خان يونس) وعلي حسين مراد (صيدا).

أرعبت العملية الفدائية الحكومة الإسرائيلية والرأي العام، ما دفع برئيس الحكومة مناحيم بيغن في جلسة للكنيست الى القول: «إن اسرائيل ستقطع اليد الشريرة التي شنّت أسوأ هجوم تتعرّض له الدولة العبرية منذ إنشائها قبل ٣٠ عاماً... ولن نسمح بأن ترتفع يدٌ شريرة فوق رأس طفل أو إمرأة يهودية... إن الأيام التي كان يُمكن فيها أن يُراق الدم الإسرائيلي من دون عقاب ولّت...». واعتبر بيغن أن العملية التي نفّذتها وحدة من فتح «هي من أفظع الأعمال الشائنة والأكثر وحشية في التاريخ...» وأكّد في كلمته أن الفدائيين جاؤوا من لبنان، واتهم الإتحاد السوفياتي والدول الشرقية بتزويد المخرّبين بالسلاح وإقامة معسكرات تدريب لهم، منتقداً زيارة ياسر عرفات الى موسكو واستقباله وتكريمه هناك. في غضون ذلك، أكّد عرفات في ذكرى كمال جنبلاط أن إسرائيل تُعِدُّ لعمل عسكري كبير هدفه ضرب القوات المشتركة الفلسطينية- اللبنانية وقال: «نحن لا نخاف ولا نهرب من المعركة...» بينما دعت وزارة الخارجية الأميركية إسرائيل الى عدم الردّ على العملية الفدائية، وقال المتحدث باسمها هودينغ كارتر: «إن عمل العنف هذا يهدف الى نسف جهود التسوية السلميّة في الشرق الأوسط...».

الساعة الثانية عشرة والربع ليل الثلاثاء – الأربعاء ١٤ آذار، وبعد تأجيل العملية الإسرائيلية ليومين بسبب الأحوال الجوية المُتردية، بدأ ٢٥ الف جندي عملية إجتياح هي الأوسع للأراضي اللبنانية سُميت عملية الليطاني[١]، وشكّلت أكبر تحريك للقوات الإسرائيلية منذ حرب تشرين عام ١٩٧٣.

إحتلَّت إسرائيل منطقةَ جنوب نهرِ الليطاني باستثناء صور، وكانت أهدافها المُعلنة طرد مجموعات الفدائيين الفلسطينيّين، خصوصاً منظمة التحرير الفلسطينية، بعيداً عن الحدود مع إسرائيل.

١- عملية الليطاني: إجتياح إسرائيلي لمنطقة واسعة من جنوب لبنان. وهي في إطار النزاع الإسرائيلي الفلسطيني الطويل، بدءاً مِن عام ١٩٦٨ عندما أسّست منظمة التحرير الفلسطينية والجماعات الفلسطينية شبه دولة في جنوب لبنان أُطلق عليها إسم فتح لاند إستعملتها كقاعدة للهجمات على شمال إسرائيل وذلك إثر تدفّق ٣٠٠٠ فدائي من منظمة التحرير الفلسطينية هاربين من الأردن بعد عملية «أيلول الأسود». وشكّلت بلدات الجنوب مقرًا للقيادات الفلسطينية حيث اعتبرت اسرائيل أنَّ زرع ترسانة من المدافع والمضادات في تلك المنطقة يُشكّل خطراً حقيقيًا عليها ما دفعها الى تنفيذ «عملية الليطاني».

دخل الجيش الإسرائيلي على أربعة خطوط: خط راشيا الفخار - الخيام - إبل السقي - بلاط في القطاع الشرقي، خط العديسة - الطيبة - النبطية في القطاع الأوسط، خط مارون الراس - بنت جبيل، وخط رأس الناقورة - البيّاضة - مرفأ صور ومخيماتها في القطاع الغربي، وذلك على عمق ١٠ كيلومترات إلى الداخل وعلى امتداد ٨٠ كيلومتراً على الحدود.

وبعد إجتماع لمجلس الوزراء الإسرائيلي عقد رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن، ووزير الدفاع عازر وايزمان، ورئيس أركان الجيش مردخاي غور، مؤتمراً صحافياً مشتركًا، أعلنوا خلاله أن «القوات الإسرائيلية دخلت جنوب لبنان وأنها ستحتل شريطًا بعرض عشرة كيلومترات ولن تنسحب منه إلا بعد توقيع إتفاق يضمن عدم بقاء أي فدائي فلسطيني في المنطقة».

تزامنًا، أصدر الجيش الإسرائيلي بيانًا يقول: «بدأ الجيش حملة تطهير على طول الحدود اللبنانية والهدف هو ضرب القواعد التي انطلق منها المخربون للقيام بعمليّات في عمق إسرائيل... وان القوات الاسرائيلية لا تنوي إيذاء السكان أو الجيش اللبناني أو قوات الردع العربية. إن الهدف ليس الإنتقام من جرائم المخرّبين، بل حماية الدولة ومنع هجمات جماعات فتح التي تستخدم أرض لبنان من أجل مهاجمة مواطني اسرائيل».

وأكدت إسرائيل أنها ستدخل مع منظمة التحرير في مواجهة مصيرية على الصعيدين العسكري والسياسي. وقال وزير التربية الإسرائيلية ريفولون هامر أثناء جنازة أحد ضحايا العملية الفدائية: «ليس هناك حلّ وسط مع الشر. علينا إستئصاله من جذوره... منظمة التحرير تُمثّل هذا الشرّ»، فيما نقلت وكالة رويترز أن بيغن يواجه ضغوطات كبيرة تطالبه بالإنتقام للضحايا. أما، رئيس أركان الجيش الإسرائيلي الجنرال مردخاي غور فقال: «الهدف هو إيجاد حزام أمني يمتدّ على طول الحدود مع لبنان، بعمق عشرة كيلومترات».

في اليوم الأول لعملية الليطاني إجتاحت إسرائيل ٦٤٠ كيلومترًا مربعًا من الأراضي اللبنانية وقال مناحيم بيغن إن بلاده ستبقى في هذه الأراضي الى أن يتمّ التوصّل الى إتفاق يمنع عودة الفدائيين اليها.

لبنان تحرّك دبلوماسيًا، فالتقى مندوب لبنان في الأمم المتحدة السفير غسان التويني بأمين عام المنظمة الدولية كورت فالدهايمف فيما أعرب رئيس الجمهورية اللبنانية الياس سركيس عن ثقته في أن يقف الضمير العالمي الى جانب الحقّ والى جانب لبنان، وأعلن خلال جلسة مجلس الوزراء أن الإجتياح الإسرائيلي يشكّل خرقًا للمبادىء الدوليّة ولحقوق الإنسان... ودعت الحكومة مجلس الأمن الدولي الى الإنعقاد، واستدعى الرئيس السفير الأميركي ريتشارد باركر الى القصر وحضر اللقاء الرئيسان كامل الأسعد وسليم الحص ووزير الخارجية فؤاد بطرس...

في اليوم الثاني للعملية، أرسلت إسرائيل قوات إضافية. وعندما تبيَّن حجم العمليات الاسرائيلية دعت موسكو الى الإنسحاب الفوري واعتبرت وكالة «تاس» أن الإعتداء على جنوب لبنان هو محاولة للقضاء على الثورة الفلسطينية، وهو إعتداء مباشر على دولة ذات سيادة، فيما تحدَّثت الادارة الأميركية عن تحضير حلّ عبر الأمم المتحدة تمَّ لاحقًا عبر إدخال قوات الطوارىء الدولية الى جنوب الليطاني كما أبدت فرنسا من جهتها حرصها على إستقلال لبنان وسيادته. وقد انتقد ياسر عرفات التخاذل العربي تجاه الإجتياح وتجاه ما يتعرض له الفلسطينيون واللبنانيون... فيما عقد مجلس الجامعة العربية في القاهرة إجتماعًا على مستوى المندوبين الدائمين بمن فيهم ممثلو سوريا وليبيا ومنظمة التحرير، بدوره بعث الملك خالد بن عبد العزيز برسالتين الى كل من الرئيس سركيس وياسر عرفات إستنكر فيهما الإعتداء الإسرائيلي...

وفي اليوم التالي سلَّم وزير الخارجية السورية عبد الحليم خدام الرئيس سركيس رسالة من الرئيس الأسد يؤكّد فيها دعم سوريا للبنان ومساندته عربيًا ودوليًّا ضد العدوان...



رئيس الأركان الإسرائيلي مردخاي غور والجنرال دان شمرن يتابعان عملية الليطاني

بعد ثلاثة أيام من المعارك المتواصلة تمكّن الجيش الإسرائيلي رغم المقاومة التي واجهها، من بلوغ خط الهبارية، الفريديس، كوكبا، مرجعيون، دير السريان، القنطرة، صفد البطيخ، تبنين، الطيرى، صدّيقين، العزّية ومزرعة جل البحر. وكانت قوّة أخرى وصلت إلى البياضة جنوب صور بعمق سبعة كيلومترات داخل الحدود اللبنانية، وكان الهدف مدينة صور، لذلك تركّز القصف الجوي وقصف الزوارق الحربية على المدينة ومخيّم الرشيدية، بطريقة عنيفة ومدمرة، وَوُجِهَ إنزال إسرائيلي بحري جنوبي صور ببسالة ومُنيت الوحدة المهاجمة بخسائر بشرية... لكنّ الدبابات كانت تُكمل تقدّمها في ثلاثة إتجاهات هي:

١- القنطرة - حريقة - دير قانون - البجة - برج رحال.

٢- السلطانية - الشهابية - جويا - البازورية - حارات.

٣- صديقين - قانا - بتوليه - النافورة - رأس البياضة.



لقاء بين وزير الدفاع الإسرائيلي عازار وايزمان والرائد سعد حدّاد



بيغن ووَيزمان وإيتان في الجنوب أثناء عمليّة الليطاني

بعد مرور ستة أيام على بدء العملية، أعطى وزير الدفاع عازر وايزمان الأمر بوقف إطلاق النار والبدء بالإنسحاب.

أثناء الهجوم الذي استمر لمدة ٧ أيام، إحتل الجيش الإسرائيلي حزامًا بعمق ١٠ كيلومترات تقريباً، لكنه تَوسّع لاحقاً شمالاً إلى نهر الليطاني، وقد قُتل اكثر من ١٢٠٠ لبناني نصفهم من المدنيين وجُرح ٦٥٣ آخرين، وقدَّرت الحكومة اللبنانية عدد اللاجئين بحوالي ٢٨٥٠٠٠ لاجئ[١]، (٢٢٠ ألف لبناني و ٦٥ ألف فلسطيني) وذلك نتيجة الدمار في المنازل والمزارع والمؤسسات التربوية والإقتصادية... وفي الجانب الإسرائيلي قُتِلَ ٢٠ شخصًا من بينهم مسى عجوة الاستاذ في جامعة الخليل وتَراجعت منظمة التحرير الفلسطينية إلى شمال نهر الليطاني.

تقارير الأمم المتحدة، أوردت ان الجيش الإسرائيلي سيطر على ٥٥ مدينة وقرية ومزرعة.

مجلس الأمن الدولي التابع للأمم المتحدة أصدر القرارين رقم ٤٢٥ و ٤٢٦ داعيًا إلى إنسحاب القوّات الإسرائيلية مِن لبنان، وشُكِّلَت قوةّ فصل للأُمم المتحدة في لبنان (اليونيفيل) لفَرض هذا القرار وإعادة السلام والسيادة إلى لبنان. وَصلتْ قوات اليونيفيل إلى لبنان في ٢٣ آذار، واتّخذت مقر قيادة لها في الناقورة على الحدود اللبنانية الإسرائيلية.

إنسحبت القوات الإسرائيلية لاحقاً في ١٩٧٨، وسلّمت مواقعها داخل لبنان إلى جيش لبنان الجنوبي بقيادة الرائد سعد حداد الذي شكّل ما عُرف بالحزام الأمني.

١- مدينة صور شهدت نزوحاً كثيفاً بسبب القصف التدميرى وصل إلى ٧٠٠٠٠ نسمة، و شهدت النبطية نزوحاً مماثلاً قُدّر بحدود ٥٠٠٠٠ نسمة.

عدد النازحين في عملية الليطاني ١٩٧٨ بلغ ٢٨٥ ألفاً



المراجع

- لبنان آخر وأطول حروب إسرائيل، زئيف شيف - أهود يعاري - يعقوب تيمرمان
- لماذا غزت إسرائيل لبنان، مايكل جانسن
- تساحال - القوات الإسرائيلية من الميليشيات الفلاحية الى القوّة النووية، جاك بينودي
- دبلوماسيّة إسرائيل السريّة في لبنان، كيرستن شولتزه
- مذكرات آرييل شارون
- لبنان - إنهيار الحلم الإسرائيلي- صحيفة كوتيرت راشيت الإسرائيلية، دار المروج - لبنان
- في عين الحدث، خمسة وأربعون عامًا لأجل لبنان، اللواء سامي الخطيب
- وثائق الحرب اللبنانية ١٩٧٣ - المركز العربي للأبحاث والتوثيق، لبنان
- وثائق الحرب اللبنانية ١٩٨٢ - المركز العربي للأبحاث والتوثيق، لبنان
- إجتياح لبنان، وكالة مختارات الأخبار العربية والدولية
- الجنوب اللبناني في ظلّ الإحتلال الإسرائيلي، وكالة مختارات الأخبار العربية والعالمية
- أسرار حرب لبنان، الآن مينارغ
- قصة الموارنة في الحرب، جوزيف أبو خليل
- موسوعة الحرب اللبنانيّة، مسعود الخوند
- حرب لبنان، عبد الرؤوف سنّو
- زلزال بيروت، محمود الناطور (أبو الطيّب)
- معارك سوريا في لبنان (الجزء الأول)، المواجهات الأولى للتاريخ
- معارك سوريا في لبنان (الجزء الثاني)، حرب الرهانات الجديدة
- **Days of Wrath Lebanon, Joseph Chami**
- جريدة «النهار»
- جريدة «اللواء»
- جريدة «العمل»
- جريدة «L'Orient le Jour»
- صحيفة «ديلي تلغراف» البريطانية
- مجلة المسيرة
- مجلة النهار العربي والدولي

الفهرس














المؤلف

- كلوڤيس بطرس الشويفاتي، مواليد ١٩٦٧، بلاً - قضاء بشرّي
- ماجستير في العلوم السياسية، الجامعة اللبنانية ١٩٩٢
- عمل في الإعلام المكتوب والمرئي والمسموع منذ ١٩٩٠

مؤلفاته :

- طريق الألغام من الطائف الى اليرزة، ٢٠٠٥
- عراق صدّام حروب وآلام، ٢٠٠٧
- المواجهات الأولى... للتاريخ معارك سوريا في لبنان (١)، ٢٠٠٩
- حرب الرهانات الجديدة معارك سوريا في لبنان (٢)، ٢٠١٠
- البابا القدّيس، آخر العمالقة، ٢٠١١

